هـدى الرسـول ﷺ فى القيـام

هدى رسول الله ﷺ فى القيام .

● عن أبى هريرة - وهو يقصص فى قصصه - وهو يذكر رسول الله ﷺ :

« إن أخًا لكم لا يقول الرفث ، يعنى بذلك عبد الله بن رواحة : -

وفينا رسول الله يتلو كتابه   إذا انشق معروف من الفجر ساطع

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا   به موقنات أن ما قال واقع

يبيت يجافى جنبه عن فراشه   إذا استثقلت بالمشركين المضاجع [1]

الرفث : الباطل أو الفحش من القول .

يقال سطع إذا ارتفع   « من الفجر » بيان للمعروف الساطع [2]

يجافى جنبه : كناية عن صلاته بالليل .

● ويرحم الله شوقى حين يقول عن الرسول ﷺ :

مُحيي الليالى صلاة ، لا يُقَطِّعُها   إلا بدمع من الإشفاق مُنسْجِمِ

مُسَبِّحًا لك جنح الليل ، مُحْتَمِلاً   ضُرًّا من السُّهْدِ، أو ضُرًّا من الوَرَمِ

رَضِيَّةً نفسه ، لا تشتكى سَأَمًا   ومَا مَعَ الحُبِّ إن أخْلَصْتَ مِنْ سَأَمِ [3]

●● كان قيامه ﷺ لربه مُخْلِصًا له الدين : -

كان رسول الله ﷺ سيد المخلِصين والمخلَصين ، أطال النظر إلى خالقه ومولاه فشُغل عن المخلوق .

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب التهجد من صحيحه، باب فضل من تعارّ من الليل .

(٢) أنظر فتح البارى ج ٣ كتاب التهجد باب فضل من تعارّ من الليل .

(٣) الشوقيات لأمير الشعراء أحمد شوقى ج ١ ص ٢٠٧ طبع المكتبة التجارية الكبرى .

« إستعداده للقيام »

نَوْمُه ﷺ ذَاكِرًا اللهَ نَاوِيًا للقيام

كان رسول الله ﷺ يدندن حول القيام ، ويتخذ السبل التى تهيئ له هذا الأمر .

فخشونة فراشه سبب يمهده للقيام كان ينام على الحصير حتى يخط فى جنبه الشريف : ـ

● عن أنس بن مالك قال : دخلت على رسول الله ﷺ وهو على سرير مضطجع مرمل بشريط [1]، وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف ، فدخل عليه نفر من أصحابه ، ودخل عمر فانحرف رسول الله ﷺ انحرافة فلم ير عمر بين جنبيه وبين الشريط ثوبًا ، وقد أثر الشريط بجنب رسول الله ﷺ فبكى عمر ، فقال النبي ﷺ : ما يبكيك يا عمر ؟ قال : والله ألا أن أكون أعلم أنك أكرم على الله عز وجل من كسرى وقيصر وهما يعبثان فى الدنيا فيما يعبثان ، وأنت يا رسول الله بالمكان الذى أرى ، فقال النبي ﷺ : « أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ » قال عمر : بلى ، قال : فإنه كذلك [2] .

وعند مسلم من حديث عمر : « فدخلت على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على حصير فجلست ، فأدنى عليه إزاره وليس عليه غيره ، وإذا الحصير قد أثر فى جنبه » [3] الحديث .

● وعن ابن عباس رضى الله عنهما «أن رسول الله ﷺ دخل عليه عمر وهو

---

(١) مرمل : مصنوع ، شريط : حبل يُفتل من الخوص.

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده ، وهو عند البخارى ومسلم وابن ماجة من حيث عمر=

(٣) رواه مسلم كتاب الطلاق باب الايلاء واعتزال النساء.

على حصير قد أثر فى جنبه فقال : يا نبى الله لو اتخذت فراشًا أوثر من هذا ؟ فقال مالى وللدنيا ما مثلى ومثل الدنيا إلا كراكب سار فى يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها[1] .

● وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كانت وسادته التى ينام عليها بالليل من أدم حشوها ليف[2] .

وها هو رسول الله ﷺ وهو الذى كانت تنام عيناه ولا ينام قلبه ، وهو الذى كان سيد العابدين إلى يوم القيامة يتخذ فراشًا من حصير ، ووسادة من جلد حتى لا تلهيه عن قيام الليل معلمًا بذلك أمته .

قال المناوى رحمه الله : « الأولى لمن غلبه الكسل ، والميل للدعة والترفه أن لا يبالغ فى حشو الفراش لأنه سبب لكثرة النوم والغفلة والشغل عن مهمات الخيرات »[3] .

●● وكانت كيفية نومه وهديه فيه تعينه على القيام :-

فلقد كان رسول الله ﷺ يضطجع على شقه الأيمن عند نومه .

فعن حفصة رضى الله عنها قالت : «كان إذا أخذ مضجعه جعل يده اليمنى تحت خده الأيمن »[4] .

وفى نوم رسول الله ﷺ بهذه الكيفية سر لطيف يبينه لنا شيخ الإسلام ابن

---

(١) صحيح : أخرجه أحمد فى مسنده وتفرد به وعنه فى تاريخ ابن كثير ، والحاكم فى المستدرك ، وقال الهيثمى : رجال أحمد رجال الصحيح غير هلال بن خباب وهو ثقة وقال الشيخ شاكر إسناده صحيح وقال الألبانى حديث صحيح : أنظر المسند حديث رقم ٢٧٤٤ وصحيح الجامع رقم ٥٥٤٥.

(٢) تخريج الحديث رقم (٢) «كان وسادته .... » صحيح : أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجة وحسنه السيوطى وصححه الألبانى « صحيح الجامع رقم (٤٧١٤)

(٣) فيض القدير للمناوى ج ٥ ص ١٨٠.

(٤) صحيح : رواه الطبرانى فى « الكبير » عن حفصة ، وخرجه الترمذى عن البراء بزيادة « وقال رب قنى عذابك يوم تبعث عبادك » . قال المناوى : وأشار المؤلف - أى السيوطى - إلى صحته ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٥٢٣).

قيم الجوزية فيقول رحمه الله : « وفى اضطجاعه على شقه الأيمن سر ، وهو أن القلب معلّق فى الجانب الأيسر ، فإذا نام على شقه الأيسر ، استثقل نومًا ، لأنه يكون فى دعة واستراحة ، فيثقل نومه ، فإذا نام على شقه الأيمن ، فإنه يقلق ولا يستغرق فى النوم ، لقلق القلب ، وطلبه مستقره وميله إليه ، ولهذا استحب الأطباء النوم على الجانب الأيسر لكمال الراحة وطيب المنام ، وصاحب الشرع يستحب النوم على الجانب الأيمن لئلا يثقل نومه فينام عن قيام الليل ، فالنوم على الجانب الأيمن أنفع للقلب ، وعلى الجانب الأيسر أنفع للبدن والله أعلم »[1] .

« أذكار النوم » : -

كان رسول الله ﷺ يبيت وينام على ذكر الله كما قال الشاعر :

وآخر شيء أنت فى كل هجعة وأول شيء أنت عند هبوبى

ومن أذكار النوم : -

- « كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينام قال « **باسمك اللهم أموت وأحيا** » وإذا استيقظ من نومه قال « **الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور** »[2] .

- وعن عائشة أن النبى ﷺ كان إذا آوى إلى فراشه كل ليلة : جمع كفيه ، ثم نفث فيهما يقرأ فيهما : ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ و ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾ و ﴿ **قل أعوذ برب الناس** ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات »[3]

وفى حديث أبى هريرة : « إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى » ﴿ **الله**

---

(١) زاد المعاد لابن القيم ج ١ ص ٣٢١ ، ٣٢٢ مؤسسة الرسالة ... « تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط » .

(٢) رواه مسلم والنسائى وأحمد فى مسنده عن البراء ، والبخارى وأحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة عن حذيفة وأحمد والبخارى ومسلم عن أبى ذر

(٣) رواه البخارى ومسلم

لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ حتى تختمها ، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فقال النبي ﷺ : « **صدقك وهو كذوب** »[1]

• وفي الصحيحين عن أبي مسعود الأنصاري عن النبي ﷺ قال : « **من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه** » .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا قام أحدكم عن فراشه ثم رجع إليه ، فلينفضه بصَنِفَة إزاره ثلاث مرات ، فإنه لا يدري ما خَلَفَه عليه بعده ، وإذا اضطجع فليقل : باسمك ربي وضعت جنبي ، وبك أرفعه ، فإن أمسكت نفسي فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين ، فإذا استيقظ فليقل الحمد لله الذي عافاني في جسدي ، ورَدَّ عليَّ روحي وأذن لي بذكره** »[2] .

وصنفة الإزار : طرفه مما يلي طرته كما في « النهاية » .

عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ «كان إذا آوى إلى فراشه قال : «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا ، وكفانا ، وآوانا فكم ممَّن كافِيَ له ولا مُؤْوِيَ له »[3]

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال :

« **إذا أوى أحدكم إلى فراشه ، فلينفضه بداخلة إزاره ، فإنه لا يدري ما خَلَفَه عليه ، ثم ليضطجع على شقِّه الأيمن ، ثم ليقل : باسمك ربي وضعت جنبي ، وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسي فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين** »[4] .

وفي صحيح مسلم عن ابن عمر أن رجلاً إذا أخذ مضجعه أن يقول :

« اللهم أنت خلقت نفسي ، وأنت تتوفاها ، لك مماتها ومحياها ، إن أحييتها

---

(١) جزء من حديث في البخاري.

(٢) حسن : رواه الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٧٢٩.

(٣) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد في مسنده.

(٤) رواه البخاري ومسلم وأبو داود.

فاحفظها ، وإن أمتّها فاغفر لها ، اللهم إني أسألك العافية » قال ابن عمر : سمعتهن من رسول الله ﷺ .

وفى صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ «كان إذا أوى إلى فراشه قال : « **اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنّوى ، منزل التوراة والإنجيل والفرقان ، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته ، أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدَّين ، وأغننا من الفقر** » .

وعن عبادة بن أخضر أن رسول الله ﷺ «كان إذا أخذ مضجعه قرأ : ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ حتى يختمها »[1] .

وعن أبي الأزهر أن رسول الله ﷺ : «كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال : « **بسم الله وضعت جنبي ، اللهُمَّ اغفرلي ذنبي ، واخسأ شيطاني ، وفُكَّ رِهَانِي ، وثَقِّلْ مِيزَانِي ، واجْعَلْنِي فى النَّدِيِّ الأَعْلَى** »[2]

---

(١) حسن : رواه الطبراني فى « الكبير » : ورمز السيوطي لحسنه ، قال المناوي : وليس كما زعم فقد أعله الهيثمي وغيره بأن فيه يحيى الجماني ويحيى الجعفي وكلاهما ضعيف جداً « فيض القدير ج ٥ حديث رقم (٦٥٤١) وحسنه الألباني فى صحيح الجامع رقم (٤٥٢٤) وابن أخضر هو عباد ابن عباد بن علقمة المازني المصري المعروف بابن أخضر وكان زوج أمه وليس بصحابي كما قاله المناوي .

(٢) صحيح : رواه أبو داود والحاكم فى المستدرك وحسنه المناوي وصححه الحاكم والسيوطي والألباني صحيح الجامع رقم (٤٥٢٥) .

(٢) حديث رقم (٢) : قال المناوي فى فيض القدير ج ٥ ص ٩٢ : « وهذا دعاء يجمع خير الدنيا والآخرة فتتأكد المواظبة عليه كلما أريد النوم ، وهو من أجل الأدعية المشروعة عنده على كثرتها . وقال ص ٩١ ، ٩٢ : قوله « اخسيء شيطاني » أي اجعله خاسئاً مطروداً وهو بوصل الهمزة (وفك رهاني) أي خلصني من عقال ما اقترفت نفسي من الأعمال التي لا ترتضيها بالعفو عنها ، والرهان كسهام الرهن وهو ما يجعل وثيقه بالدين والمراد هنا نفس الإنسان لأنها مرهونة بعملها ﴿ **كل امرئ بما كسب رهين** ﴾ .

(واجعلني فى الندى الأعلى) : أي الملأ الأعلى من الملائكة ، والنَّدى . بفتح النون وكسر الدال =

وعن حفصة أن رسول الله ﷺ «كان إذا أراد أن يرقد، وضع يده اليمنى تحت خده، ثم يقول «**اللهم قِني عذابك يوم تبعث عبادك**» (ثلاث مرات)[1].

وعن حذيفة أن رسول الله ﷺ: «كان إذا نام وضع يده اليمنى تحت خده وقال: «**اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك**»[2].

وفى الصحيحين عن البراء بن عازب قال: قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أتيت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل اللهم إنى أسلمت نفسى إليك، ووجهت وجهى إليك، وفوضت أمرى إليك، وألجأت ظهرى إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجا ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذى أنزلت، وبنبيك الذى أرسلت، فإن مِتَّ مت على الفطرة واجعلهن آخر ما تقول**».

وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقرأ ﴿قل يأيها الكافرون﴾ عند منامك، فإنها براءة من الشرك**»[3].

وفى وصيته لفاطمة حين أتت إليه تطلب خادماً وتشكو إليه تعبها قال ﷺ

= وتشديد الياء كما فى «الأذكار» القوم المجتمعون فى مجلس ومنه النادى.

(أبى الأزهر) قال النووى فى الأذكار: ويقال أبو زهير الأنمارى الشامى، قال البغوى فى المعجم لم ينسب، ولا أدرى أله صحبة أم لا، وفى التقريب: صحابى لا يعرف اسمه.

(١) حديث رقم (١): حديث صحيح: رواه أبو داود والنسائى فى اليوم والليلة. ورمز السيوطى لحسنه وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٥٣٢).

قال المناوى: «والظاهر حصول أصل السنة بمرة وكمالها باستكمال الثلاث» ويدل على كلامه الحديث رقم (٢).

(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذى والنسائى عن البراء، وأحمد والترمذى عن حذيفة، وأحمد وابن ماجة عن ابن مسعود. وقال الترمذى: حسن صحيح. وقال ابن حجر: إسناده صحيح ورمز السيوطى لتصحيحه وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٦٦٦).

(٣) صحيح: أخرجه البيهقى فى «شعب الإيمان» عن أنس، وأحمد فى مسنده والبخارى فى «التاريخ وأبو داود والترمذى وابن حبان فى صحيحه والحاكم فى المستدرك وابن السنى عن نوفل، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (١١٧٢).

لها ولعلى : « **ألا أدلكما على خير لكما من خادم ، إذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثًا وثلاثين ، واحمدا ثلاثاً وثلاثين ، وكبّرا أربعًا وثلاثين فإنه خير لكما من خادم** »[1]

ما كان يبدأ به ﷺ من ذكر الله عند الانتباه من النوم

عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ :

« **من تعارّ من الليل فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . ثم قال : اللهم اغفرلى ـ أو دعا استجيب له فإن توضأ قُبلت صلاته** »[2] .

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « **إذا استيقظ أحدكم فليقل : الحمد لله الذى ردّ على روحى ، وعافانى فى جسدى ، وأذن لى بذكره** »[3] .

عن ربيعة بن كعب الأسلمى رضى الله عنه قال : «كنت أبيت عند حجرة النبى ﷺ ، فكنت أسمعه إذا قام من الليل يقول « سبحان الله رب العالمين » الهَوِىّ ، ثم يقول : « سبحان الله وبحمده » الهَوِىّ[4] .

والهوى : الزمان الطويل .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : «كان رسول الله ﷺ إذا تضوّر من

---

(١) جزء من حديث على وهو متفق عليه.

(٢) سبق تخريجه البخارى وأصحاب السنن الأربعة.

(٣) حسن : رواه الترمذى وابن السنى وحسنه الألبانى صحيح الجامع رقم (٣٢٦).

(٤) سنده صحيح : رواه النسائى والترمذى نحوه وقال : هذا حديث صحيح ، وأخرجه أبو عوانة فى صحيحه بتمامه . وقال الألبانى فى تخريج المشكاة « أخرجه فى الأدب وسنده صحيح على شرط مسلم ، وقد أخرج طرفه الأول بزيادة فيه » أنظر المشكاة حديث رقم (١٢١٨).

الليل قال : لا اله إلا الله الواحد القهار ، رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار »[1] .

تضور : تلوّى وتقلب ظهراً لبطن

عن حذيفة قال : « كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال : « **باسمك أموت وأحيا** » وإذا قام قال : « **الحمد لله الذى احيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور** »[2] .

وفى الصحيحين عن النبي ﷺ :

« **الحمد لله الذى عافانى فى جسدى وردّ علىّ روحى ، وأذن لى بذكره** » .

وعن أبى هريرة أن النبي ﷺ : كان إذا كان فى سفر وأسحر يقول : « **سمع سامع بحمد الله وحسن بلائه علينا ، ربنا صاحبنا وأفضل علينا عائذاً بالله من النار** »[3] .

إذا أسحر : قال النووى : معناه قام فى السحر ، أو انتهى سيره إلى السحر وهو آخر الليل .

هديه فى التسوك لقيام الليل : -

عن حذيفة رضى الله عنه قال : « كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك »[4]

---

(١) صحيح : ـ أخرجه النسائى والحاكم فى المستدرك ، وابن حبان فى صحيحه وابن السنى ، وابن نصر فى قيام الليل وابن منده والسهمى .
وقال الحاكم . على شرط الشيخين ووافقه الذهبى ، وقال الحافظ العراقى فى أماليه حديث صحيح ورمز لصحته السيوطى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم ٤٥٦٩ ص ٢١٣ ، وانظر فيض القدير ج ٥ حديث ٦٦١٥

(٢) البخارى فى كتاب الدعوات باب : مايقول إذا نام ج ١١ ص ١١٣.

(٣) صحيح مسلم ـ كتاب الأدعية ص ٥٦٧

(٤) رواه البخارى مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجة وأحمد فى مسنده عن حذيفة . والإسناد عند البخارى كله كوفيون . وفى رواية مسلم إذا قام ليتهجد.

قال ابن حجر فى الفتح : [الشَّوْصُ : بالفتح الغسل والتنظيف كذا فى الصحاح] .

وفى المحكم : الغسل ، والتنقية عن أبى عبيد ، والدلك عند ابن الأنبارى .

وقيل الإمرار على الأسنان من أسفل إلى فوق ، واستدل قائله بأنه مأخوذ من الشوصة وهى ريح ترفع القلب عن موضعه ، وعكسه الخطابى فقال : هو دلك الأسنان أو الأصابع عرضاً

قال ابن دقيق العيد : فيه استحباب السواك عند القيام من النوم ، لأن النوم مقتض لتغير الفم لما يتصاعد إليه من أبخرة المعدة ، والسواك آلة تنظيفه فيستحب عند مقتضاه . قال : وظاهر قوله « من الليل » : عام فى كل حالة ، ويحتمل أن يخص بما إذا قام إلى الصلاة . قلت : ويدل عليه رواية المصنف فى الصلاة بلفظ «إذا قام للتهجد» ولمسلم نحوه. «كان النبى ﷺ إذا قام للتهجد يشوص فاه بالسواك . وحديث ابن عباس يشهد له ، وكان ذلك هو السر فى ذكره فى الترجمة »[1] .

ولقد ذكره البخارى فى باب « طول القيام فى صلاة الليل »

واستشكل ابن بطال دخوله فى هذا الباب فقال : لا مدخل له هنا لأن التسوك فى صلاة الليل لا يدل على طول الصلاة . قال : ويمكن أن يكون ذلك من غلط الناسخ فكتبه فى غير موضعه ، أو أن البخارى أعجلته المنية قبل تهذيب كتابه ، فإن فيه مواضع مثل هذا تدل على ذلك .

وقال ابن المنير : يحتمل أن يكون أشار إلى أن استعمال السواك يدل على ما يناسبه من إكمال الهيئة والتأهب ، وهو دليل طول القيام إذ التخفيف لا يتهيأ له هذا التهيؤ الكامل .

وقال ابن رشيد : الذى عندى أن البخارى إنما أدخله لقوله « إذا قام

---

(١) فتح البارى ج ٢ ص ٣٥٦.

للتهجد » أى إذا قام لعادته ، وقد تبينت عادته فى الحديث الآخر .

ولفظ التهجد مع ذلك مشعر بالسهر ، ولا شك أن فى التسوك عونا على دفع النوم فهو مشعر بالاستعداد للإطالة .

وقال البدر بن جماعة : يظهر لى أن البخارى أراد بهذا الحديث استحضار حديث حذيفة الذى أخرجه مسلم

وأقرب الأقوال توجيه ابن رشيد[1] أ . هـ . قول ابن حجر

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ «كان يصلى بالليل ركعتين ركعتين ، ثم ينصرف فيستاك »[2]

[قال أبو شامة : يعنى : وكان يتسوك لكل ركعتين ، وفى هذا موافقة لما يفعله كثير فى صلاة التراويح وغيرها ، قال العراقى : مقتضاه أنه لو صلى صلاة ذات تسليمات كالضحى والتراويح يستحب أن يستاك لكل ركعتين وبه صرّح النووى][3] .

وعن ابن عمر أن النبى ﷺ : «كان لا يتعارّ من الليل إلا أجرى السواك على فيه »[4]

---

(١) فتح البارى ج ٣ ص ١٩ ، ٢٠ .

(٢) صحيح : رواه احمد والنسائى وابن ماجة والحاكم فى المستدرك . وقال الحاكم على شرطهما ، لكن مغلطاى قال ليس كمازعم . وقال ابن حجر إسناده صحيح . وقال المنذرى رواه ابن ماجة ثقات ، ورمزا لصحته السيوطى ، وقال الولى العراقى : وهو عند أبى نعيم بإسناد جيد من حديث ابن عباس أن المصطفى ﷺ : كان يستاك بين ركعتين : صححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٨٣٧) .

(٣) فيض القدير ج ٥ ص ٢٢٤ .

(٤) حسن : رواه ابن نصر فى « الصلاة » ، والطبرانى فى « المعجم الكبير » وأبو يعلى . وقال الهيثمى سنده ضعيف وفيه من لم يسم ورواه ابن عدى ورمز السيوطى لصحته وحسّنه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٧١٨) والسلسلة الصحيحة (٢١١١) .

قال المناوى : « أى تسوك به ، وإن تعدد انتباهه فيسن ذلك لكل أحد »[1]

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ « كان لا يرقد من ليل ولا نهار فيستيقظ إلا تسوّك »[2] .

قال المناوى فى فيض القدير :

« (يرقد) : أى ينام ، « من ليل ولا نهار » مِنْ لابتداء الغاية أو زائدة قال ابن العراقى : والأقرب أنها ظرفية بمعنى « فى » كما فى ﴿ **إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة** ﴾ (فيستيقظ) : عطفٌ على يرقد وليس جوابًا للنفى ، إنما جوابه (إلا تسوّك) .

• قد تجاذب السواك ترتيبه على الاستيقاظ من النوم ، وفعله قبل الوضوء ، فاحتمل أن سببه النوم ، وأن سببه الوضوء وأن كلاً منهما جزء علة ، والعلة المجموع .

قال ابن العراقى : « الأول أقرب لكونه رتبه عليه ، وظاهر صنيع المؤلف أن هذا هو الحديث بتمامه هكذا هو ثابت فى روايتيهما فأسقطه المؤلف ذهولاً .

قال العراقى : وقوله « قبل أن يتوضأ » صادق مع كونه قبله بزمن كثير ، فلا يدل ذلك على أنه من سننه ، لأن السواك المشروع فى الوضوء داخل فى مسماه بناءً على الأصح أنه من سننه ، فإذا دل دليل خارجى على ندب السواك للوضوء دل على أن هذا السواك غير مشروع فى الوضوء ، لكن المشرع فيه داخل فى قوله قبل أن يتوضأ ، فلو كان هو المشروع فى الوضوء لزم التكرار »][3] .

---

(١) فيض القدير ج ٥ ص ١٨٢.

(٢) حسن : رواه أبو داود وابن أبى شيبة والطبرانى فى الأوسط ، وقال النووى فى شرح أبى داود فى إسناده ضعف ، وقال المنذرى فيه على بن زيد بن جدعان وهو لا يحتج به ، وقال العراقى فيه أيضًا أم محمد الراوية عن عائشة وهى مجهولة عينًا وحالاً ورمز السيوطى لصحته وحسّنه الألبانى فى صحيح الجامع رقم ٢٩.

(٣) فيض القدير ج ٥ ص ١٨٥.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ : «كان لا ينام إلا والسّواك عند رأسه ، فإذا استيقظ بدأ بالسواك»[1] .

وعن جابر يرفعه : «كان رسول الله ﷺ يتسوك من الليل مرتين أو ثلاثة ، كلما رقد واستيقظ إستاك وتوضأ وركع ركعتين أو ركعات»[2]

هديه ﷺ فى قراءة آخر آل عمران إذا قام من الليل :

سيأتى فى خبر ابن عباس وحديثه أن رسول الله ﷺ «كان يمسح النوم عن وجهه بيده ، ثم ينظر إلى السماء ويقرأ العشر آيات الخواتم من سورة آل عمران».

قال النووى فى شرح مسلم : «استحباب مسح أثر النوم عن الوجه ، واستحباب قراءة هذه الآيات عند القيام من النوم»[3]

---

(١) حسن : رواه أحمد ومحمد بن نصر فى كتاب «الصلاة» وابن حبان فى صحيحه وابن عدى ، وقال الهيثمى سنده ضعيف وتابعه المناوى ورمز السيوطى لحسنه وحسّنه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٧٤٨) .

(٢) سنده حسن : قال البوصيرى : رواه عبد بن حميد والبزار بسند حسن وأورده الحافظ ابن حجر فى «المطالب العالية».

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ٤١٦

هديه فيما يفتتح به القيام من الذكر والدعاء
« أدعية الاستفتاح ليلاً »

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال : « **اللهم لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومَنْ فيهن ، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض [ومن فيهن] ، ولك الحمد أنت مَلِك السماوات والأرض [ومن فيهن] ، ولك الحمد أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، وقولك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد ﷺ حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، (أنت ربنا وإليك المصير) ، فاغفرلى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، (وما أنت أعلم به منى) ، أنت المقدم وأنت المؤخر (أنت إلهى) ، لا إله إلا أنت ، ولا إله غيرك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله** »[1]

قال الحافظ فى الفتح : « [قوله : (إذا قام من الليل يتهجد) : ظاهر السياق أنه كان يقوله أول ما يقوم إلى الصلاة ، وترجم عليه ابن خزيمة الدليل على أن النبي ﷺ كان يقول هذا التحميد بعد أن يكبر ، ثم ساقه ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ إذا قام للتهجد قال بعد ما يكبر « **اللهم لك الحمد** »[2]

---

(١) رواه البخارى واللفظ له [ما عدا بين الأقواس] ، ومسلم وأبو عوانة وأبو داود وابن نصر والدارمى .
قيم السموات : حافظها وراعيها .
أنت نور السموات : أى منورهما وبك يهتدى من فيهما .

(٢) فتح البارى ج ٣ ص ٣ ، ٤

عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبى ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته : « **اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون . إهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم** »[1] .

انظر رحمك الله إلى حب القلوب ودوائها وهو يدعو بدعاء فيه الحياة ، أشار إلى جبريل وهو ملك الوحى الذى فيه الحياة فلقد سماه المولى عز وجل « روحا » ، وميكائيل مَلَك القطر والمطر والنبات وفيه الحياة للأرض ، وإسرافيل ملك النفخ فى الصور وفيه الحياة بعد الموت فكأنه ﷺ يدعو فى استفتاحه بهذا الدعاء بالليل لتحيا القلوب .

عن عاصم بن حميد قال : سألت عائشة : بأى شىء كان يفتتح رسول الله ﷺ قيام الليل فقالت : لقد سألتنى عن شىء ما سألنى عنه أحد قبلك :ـ

(كان إذا قام كبّر عشرًا وحمد الله عشرًا وسبّح عشرًا وهلّل عشرًا ، واستغفر عشرًا ، وقال اللهم اغفرلى واهدنى وارزقنى ، وعافنى (عشرًا) ، ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة)[2] .

عن أبى سعيد الخدرى قال :ـ

(كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل كبّر ثم يقول :ـ

« **سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك** ، ثم يقول : **لا إله إلا الله (ثلاثًا) ثم يقول الله أكبر كبيرًا (ثلاثًا)**[3] ، **أعوذ بالله**

---

(١) رواه مسلم وأبو عوانة وأبو داود .
أنظر مسلم كتاب صلاة المسافرين باب صلاة النبى ﷺ ودعاؤه بالليل .

(٢) إسناده صحيح : رواه أبو داود فى كتاب الصلاة باب : ما يستفتح به الصلاة من الدعاء ، ورواه أحمد وابن أبى شيبة والطبرانى فى الأوسط بسند صحيح والآخر حسن وصححه الألبانى فى مشكاة المصابيح حديث ١٢١٦ ج ١ ص ٣٨٣.

(٣) إلى هنا للطحاوى بسند حسن كما قال الألبانى أنظر صفة صلاة النبى للألبانى تحت عنوان أدعية الاستفتاح ص ٤٩ .

السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه[1] ونفخه ونفثه ثم يقرأ »[2] .

ومن أدعيته ﷺ فى الاستفتاح ليلاً :

« الله أكبر (ثلاثاً) ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة »[3] .

وهذه الأدعية خاصة بالاستفتاح فى قيام الليل ، وله أن يدعو بأدعية الاستفتاح الأخرى .

---

(١) همز الشيطان : المؤتة : نوع من الجنون ، نفخه : الكبر ، نفثه : الشعر المذموم والتفسيرات الثلاث وردت مرفوعة إلى النبى ﷺ بسند صحيح مرسل كما قال الألبانى.

(٢) إسناده صحيح : رواه أبو داود فى كتاب الصلاة باب من رأى الاستفتاح « بسبحانك » وصححه الألبانى فى مشكاة المصابيح فى الحديث عن الحديث رقم (١٢١٧) ولمزيد الكلام على صحة الحديث واختلاف القول فيه راجع بذل المجهود ج ٤ ص ٥١٣ ، ٥١٤.

(٣) إسناده صحيح : رواه أبو داود والطيالسى وصححه الألبانى فى صفة الصلاة ص ٥١.

وقت قيامه ﷺ

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال « ما كنا نشاء أن نرى رسول الله ﷺ فى الليل مصلياً إلا رأيناه ، ولا نشاء أن نراه نائماً إلا رأيناه »(١) .

وعند البخارى عن أنس قال «كان رسول الله ﷺ يفطر من الشهر حتى نظن أن لا يصوم ، ويصوم حتى نظن أن لا يفطر منه شيئاً ، وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصلياً إلا رأيته ولا نائماً إلا رأيته »(٢) .

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح : « أى أن صلاته ونومه كان يختلف بالليل ، ولا يرتب وقتاً معيناً بل بحسب ما تيسر له القيام ، ولا يعارضه قول عائشة : «كان إذا سمع الصارخ قام » فإن عائشة تخبر عما لها عليه اطلاع ، وذلك أن صلاة الليل تقع منه غالباً فى البيت ، فخبر أنس محمول على ما وراء ذلك »(٣) ا . هـ .

وعن مسروق قال سألت عائشة عن عمل رسول الله ﷺ فقالت : (كان يحب الدائم) ، قال قلت أىُّ حينٍ كان يصلى ؟ فقالت : «كان إذا سمع الصارخ قام فصلى »(٤) .

وعند أبى داود « الصُراخَ » ، وعند الطيالسى فى مسنده « الصارخ الديك » والصرخة هى الصيحة الشديدة .

قال النووى : [« فيه الحث على القصد فى العبادة ، وأنه ينبغى للإنسان ألا

---

(١) إسناده صحيح : أخرجه النسائى فى سننه كتاب قيام الليل باب : ذكر صلاة رسول الله ﷺ وقال الألبانى إسناده صحيح على شرطهما وصحح إسناده أيضاً عبد القادر الأرناؤوط انظر مشكاة المصابيح رقم ٨٦ .

(٢) صحيح البخارى ـ كتاب التهجد باب : قيام النبى ﷺ بالليل ونومه .

(٣) فتح البارى كتاب التهجد شرح باب قيام النبى ﷺ بالليل ونومه ص٢٣.

(٤) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى ... واللفظ لمسلم باب صلاة الليل وعدد ركعات النبى ﷺ كتاب صلاة المسافرين .

يحتمل من العبادة إلا ما يطيق الدوام عليه ثم يحافظ عليه » .

وقال أيضاً « الصارخ هنا هو الديك باتفاق العلماء قالوا : وسمى بذلك لكثرة صياحه »] .

● قال الحافظ ابن حجر العسقلانى : « جرت العادة بأن الديك يصيح عند منتصف الليل غالباً قاله محمد بن نصر ، قال ابن التين : وهو موافق لقول ابن عباس « نصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل » .

وقال ابن بطال : الصارخ يصرخ عند ثلث الليل ، وكان داود يتحرى الوقت الذى ينادى الله فيه « هل من سائل » كذا قال ، والمراد بالدوام قيامه كل ليلة فى ذلك الوقت لا الدوام المطلق »[1] ا . هـ .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : «كان ﷺ ينام أول الليل ويُحيي آخره ، ثم إن كانت له حاجة إلى أهله قضى حاجته ثم ينام ، فإذا كان عند النداء الأول قالت : وثب « ولا والله ما قلت قام » « فأفاض عليه الماء » ولا والله ما قالت اغتسل وأنا أعلم ما تريده ، وإن لم يكن جنبًا توضأ وضوء الرجل للصلاة ثم صلى الركعتين »[2] .

وعند البخارى : «كان ينام أوله ويقوم آخره فيصلى » ثم يرجع إلى فراشه .

وعن عائشة قالت : « إنْ كانَ رسول الله ﷺ ليوقظه الله عز وجل بالليل فما يجيء السحر حتى يفرغ من حزبه »[3] .

وعن حميد بن عبد الرحمن بن عوف قال : إن رجلاً من أصحاب النبى ﷺ قال : قلت وأنا فى سفر مع رسول الله ﷺ : والله لأرقبن رسول الله ﷺ للصلاة حتى أرى فعله ، فلما صلى صلاة العشاء ، ـ وهى العتمة ، اضطجع

---

(١) فتح البارى ـ كتاب التهجد ـ شرح باب « مَنْ نام عند السحر ».

(٢) البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى واللفظ لمسلم كتاب صلاة المسافرين باب صلاة الليل.

(٣) اسناده حسن : رواه أبو داود فى الصلاة باب وقت قيام النبى ﷺ ، وسكت عنه المنذرى وقال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط : إسناده حسن أنظر التعليق على شرح السنة.

هويًا من الليل ، ثم استيقظ فنظر فى الأفق ، فقال : ﴿ **ربنا ما خلقت هذا باطلاً** ﴾ حتى بلغ إلى ﴿ **إنك لا تخلف الميعاد** ﴾ ، ثم أهوى رسول الله ﷺ إلى فراشه فاستل منه سواكًا ، ثم أفرغ فى قدح من إداوةٍ عنده ماءً ، فاستنَّ ، ثم قام فصلَّى حتى قلت قد صلى قدر ما نام ، ثم اضطجع حتى قلت قد نام قدر ما صلى ، ثم استيقظ ففعل كما فعل أول مرة ، وقال مثل ما قال ، ففعل رسول الله ﷺ ثلاث مرات قبل الفجر »[1] .

- وسيمر بك فى حديث أم سلمة رضى الله عنها عن صلاته ﷺ « كان يصلى ثم ينام قدر ما صلى ، ثم يصلى قدر ما نام ، ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح » .

---

(١) إسناده صحيح : رواه النسائى فى سننه وقال الألبانى : إسناده صحيح على شرط مسلم وقال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط إسناده حسن انظر تخريج حديث رقم (١٢٠٩).

قيامه ﷺ ما بين المغرب والعشاء

عن حذيفة رضى الله عنه « أنه صلى مع النبى ﷺ المغرب ثم صلى حتى صلى العشاء »[1] .

عن عبيد مولى رسول الله ﷺ أن النبى ﷺ «كان يصلى بين المغرب والعشاء »[2] .

تطيبه ﷺ للقيام

عن أنس قال «كان للنبى ﷺ إناء يعرض عليه سواكه ، فإذا قام من الليل خلا واستنجى واستاك وتوضأ ثم تطلب الطيب فى رباع نسائه »[3] .

(١) صحيح : رواه النسائى والترمذى مطولاً [فى مناقب الحسن والحسين] ، وأحمد فى مسنده ، وابن خزيمة فى صحيحه ، وابن نصر ، والبيهقى فى سننه ، والحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى ، وصححه الألبانى فى « الصحيحة » رقم (٢١٣٢) ، وقال الساعاتى : إسناده جيد ، وصححه الدكتور مصطفى الأعظمى فى التعليق على صحيح ابن خزيمة حديث رقم (١١٩٤).

(٢) صحيح : رواه الطبرانى فى « الكبير » وأحمد : وقال الهيثمى : « مداره كله فى طرقه على رجل لم يسم ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح » . وقال الذهبى : عن ابن عبد البر رواه عن ابن عبيد سليمان التيمى وسقط بينهما رجل وحسنه السيوطى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٨٣٨) .

(٣) مختصر قيام الليل ص ٤٨.

« عدد صلاة النبى ﷺ بالليل »

عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها قالت :

(كان النبى ﷺ يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة ، منها الوتر وركعتا الفجر)[1] .

عن مسروق قال : « سألت عائشة رضى الله عنها عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل فقالت : سبع وتسع وإحدى عشرة ، سوى ركعتى الفجر »[2] .

عن أبى سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة رضى الله عنها : كيف كانت صلاة النبى ﷺ فى رمضان ؟ فقالت : (ما كان رسول الله ﷺ يزيد فى رمضان ولا فى غيره على إحدى عشرة ركعة : يصلى أربعًا ، فلا تسل عن حسنهن وطولهن - ثم يصلى أربعًا ، فلا تسل عن حسنهن وطولهن . ثم يصلى ثلاثًا ، قالت عائشة : فقلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر ؟ فقال : يا عائشة إن عينىّ تنامان ولا ينام قلبى »[3] .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانت صلاة النبى ﷺ ثلاث عشرة ركعة يعنى بالليل[4] .

عن ابن عباس قال : إن النبى ﷺ صلى من الليل ثلاث عشرة[5] .

عن زيد بن خالد الجُهنى أنه قال :

« لأرمقن صلاة رسول الله ﷺ ، فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين ، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم أوتر فذلك ثلاث عشر ركعة »[6] .

---

(١) ، (٢) ، (٣) رواه البخارى كتاب التهجد باب كيف كان صلاة النبى ﷺ .

(٤) رواه البخارى كتاب التهجد باب « كيف كان صلاة النبى ﷺ .

(٥) إسناده صحيح : رواه أحمد فى مسنده وصححه الشيخ أحمد شاكر حديث رقم (٢٠١٩) .

(٦) رواه مالك فى « صلاة الليل » باب « صلاة النبى ﷺ فى الوتر » ، وعنه مسلم فى « صلاة المسافرين » . باب « الدعاء فى الليل » ، وأبو عوانة ، وأبو داود ، وابن نصر .

قال النووى : [قال القاضي عياض : « قال العلماء فى هذه الأحاديث إخبار كل واحد من ابن عباس وعائشة وزيد بما شاهد .

وأما الاختلاف فى عائشة فقيل هو منها ، وقيل من الرواة عنها ، فيحتمل أن إخبارها بأحد عشرة هو الأغلب ، وباقى رواياتها إخبار منها بما كان يقع نادراً فى بعض الأوقات فأكثره خمس عشرة بركعتى الفجر ، وأقله سبع ، وذلك بحسب ما كان من اتساع الوقت أو ضيقه بطول قراءة كما جاء فى حديث حذيفة وابن مسعود ، أو لنوم أو عذر أو مرض أو غيره ، أو فى بعض الأوقات عند كبر فى السن كما قالت : فلما أسنّ صلى سبع ركعات ، أو تارة تعد الركعتين الخفيفتين فى أول قيام الليل كما فى رواية زيد بن خالد ، وروتها عائشة بعدها فى صحيح مسلم ، وتعد ركعتى الفجر تارة وتحذفها تارة ، أو تعد إحداهما ، وقد تكون عدت راتبة العشاء مع ذلك تارة وحذفتها تارة .

قال القاضي : ولا خلاف أنه ليس فى ذلك حد لا يزاد عليه ولا ينقص منه ، وأن صلاة الليل من الطاعات التى كلما زاد فيها زاد الأجر ، وإنما الخلاف فى فعل النبى ﷺ وما اختاره لنفسه والله أعلم »][1] ا.هـ .

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح :

[ما أجابت به عائشة رضى الله عنها مسروقاً فمرادها أن ذلك وقع منه فى أوقات مختلفة فتارة كان يصلى سبعًا ، وتارة تسعًا ، وتارة إحدى عشرة . أما حديث القاسم فمحمول على أن ذلك كان غالب حاله كما ورد فى رواية أبى سلمة عنها أن ذلك كان أكثر ما يصليه من الليل .

أما ما رواه الزهرى عن عروة عنها فى باب « ما يقرأ فى ركعتى الفجر » بلفظ « كان يصلى بالليل ثلاث عشرة ركعة ، ثم يصلى إذا سمع النداء بالصبح ركعتين خفيفتين » فظاهره مخالف لما تقدم ، فيحتمل أن تكون أضافت إلى صلاة الليل

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى باب صلاة الليل والوتر من كتاب المسافرين ص ٣٨٨

سنة العشاء ، لكونه كان يصليها فى بيته ، أو ما كان يفتتح به صلاة الليل فقد ثبت عند مسلم من طريق سعد بن هشام عنها أنه كان يفتتحها بركعتين خفيفتين وهذا أرجح فى نظرى لأن رواية أبى سلمة التى دلت على الحصر فى إحدى عشرة جاء فى صفتها عن المصنف وغيره « يصلى أربعًا ، ثم أربعًا ثم ثلاثًا » فدل على أنها لم تتعرض للركعتين الخفيفتين ، وتعرضت لهما فى رواية الزهرى ، والزيادة من الحافظ مقبولة وبهذا يجمع بين الروايات .

وينبغى أن نستحضر هنا ما تقدم فى أبواب الوتر من ذكر الركعتين بعد الوتر ، والاختلاف هل الركعتان بعد الفجر ، أو صلاة مفردة بعد الوتر ، ويؤيده ما وقع عند أحمد وأبى داود من رواية عبد الله بن أبى قيس عن عائشة بلفظ « كان يوتر بأربع وثلاث ، وست وثلاث ، وثمان وثلاث ، وعشر وثلاث ، ولم يكن يوتر بأكثر من ثلاث عشرة ولا أنقص من سبع » وهذا أصح ما وقفت عليه من ذلك ، وبه يجمع بين ما اختلف عن عائشة من ذلك والله أعلم .

قال القرطبى : أشكلت روايات عائشة على كثير من أهل العلم حتى نسب بعضهم حديثها إلى الاضطراب ، وهذا إنما يتم لو كان الراوى عنها واحدًا أو أخبرت عن وقت واحد ، والصواب أن كل شىء ذكرته من ذلك محمول على أوقات متعددة وأحوال مختلفة ، بحسب النشاط وبيان الجواز والله أعلم .

وظهر لى أن الحكمة فى عدم الزيادة على إحدى عشرة ركعة أن التهجد والوتر مختص بصلاة الليل ، وفرائض النهار - الظهر وهى أربع ، والعصر وهى أربع ، والمغرب وهى ثلاث وتر النهار ، فناسب أن تكون صلاة الليل كصلاة النهار فى العدد جملة وتفصيلاً وأما مناسبة ثلاث عشرة فبضم صلاة الصبح لكونها نهاية إلى ما بعدها][1] ا . كلام ابن حجر .

● قال الألبانى : [ويؤيد الجمع الذى رجحه الحافظ ، أن رواية مالك

---

(١) فتح البارى ج ٣ ص ٢٠ شرح باب «كيف صلاة النبى ﷺ».

جاءت مفصلة بذكر الركعتين الخفيفتين من حديث زيد بن خالد الجهني - المذكور سابقًا - قلت : ويحتمل عندى أن تكون هاتان الركعتان الخفيفتان ركعتى سنة العشاء ، بل هو الظاهر فإنى لم أجد رواية تذكرهما مع هذه الركعات الثلاث عشرة ، بل وجدت ما يؤيد ما استظهرته وهو حديث جابر بن عبد الله قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ من الحديبية حتى إذا كنا بالسقيا (قرية بين مكة والمدينة) قام رسول الله ﷺ وجابر إلى جنبه فصلى العتمة ثم صلى ثلاث عشرة سجدة . رواه ابن نصر (ص ٤٨) فهذا الحديث كالنص فى أن سنة العشاء داخل فى الثلاث عشر ركعة ورجاله ثقات غير شرحبيل بن سعد ففيه ضعف »][(١)] ا . هـ . كلام الألبانى .

● قال الحافظ ابن قيم الجوزية :

«كان قيامه ﷺ بالليل إحدى عشرة ركعة ، أو ثلاث عشرة كما قال ابن عباس وعائشة فإنه ثبت عنهما هذا وهذا . ففى الصحيحين عنهما : ما كان رسول الله ﷺ يزيد فى رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة . وفى الصحيحين عنها أيضًا : «كان رسول الله ﷺ يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة ، يوتر من ذلك بخمس ، لا يجلس فى شىء إلا فى آخرهن »[(٢)] . والصحيح عن عائشة الأول . والركعتان فوق الإحدى عشرة هما ركعتا الفجر ، جاء ذلك مبينًا عنها فى هذا الحديث بعينه : كان رسول الله ﷺ يصلى ثلاث عشرة ركعة بركعتى الفجر ذكره مسلم فى صحيحه[(٣)] . وقال البخارى فى هذا الحديث : كان رسول الله ﷺ يصلى بالليل ثلاث عشرة ركعة ، ثم يصلى إذا سمع النداء بالفجر ركعتين

---

(١) صلاة التراويح للألبانى ص ١٧ طبع المكتب الإسلامى - الطبعة الثانية .

(٢) مسلم فى صلاة المسافرين باب صلاة الليل وعدد ركعات النبى ﷺ والبخارى فى « التهجد » باب كيف كان صلاة النبى ﷺ .

(٣) صلاة المسافرين : باب صلاة الليل وعدد ركعات النبى ﷺ .

خفيفتين[1] . وفى الصحيحين عن القاسم بن محمد قال : سمعت عائشة رضى الله عنها تقول : كانت صلاة رسول الله ﷺ من الليل عشر ركعات ويوتر بسجدة ، ويركع ركعتى الفجر ، وذلك ثلاث عشرة ركعة »[2] فهذا مفسر مبين .

وأما ابن عباس ، فقد اختلف عليه ، ففى الصحيحين عن أبى جمرة عنه : كانت صلاة رسول الله ﷺ ثلاث عشرة ركعة يعنى بالليل[3] لكن قد جاء عنه هذا مفسرًا بأنها ركعتى الفجر .

قال الشعبى : سألت عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل ، فقالا ثلاث عشرة ركعة ، منها ثمان ، ويوتر بثلاث ، وركعتين قبل صلاة الفجر .

وفى الصحيحين عن كريب عنه فى قصة مبيته عند خالته ميمونة بنت الحارث ، أنه ﷺ صلى ثلاث عشرة ركعة ، ثم نام حتى نفخ فلما تبين له الفجر ، صلى ركعتين خفيفتين ، وفى لفظ فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج يصلى الصبح[4] فقد حصل الاتفاق على إحدى عشرة ركعة .

---

(١) رواه البخارى فى « التهجد » باب : ما يقرأ فى ركعتى الفجر.

(٢) رواه مسلم بهذا اللفظ فى صلاة المسافرين : باب « صلاة الليل وعدد ركعات النبى ﷺ ».

(٣) رواه البخارى فى « التهجد » باب « كيف صلاة النبى ﷺ » وكم كان يصلى بالليل .
ومسلم فى « صلاة المسافرين » باب « الدعاء فى صلاة الليل » .
والترمذى فى الصلاة .

(٤) رواه البخارى فى أبواب « العمل فى الصلاة » باب « استعانة اليد فى الصلاة » ، وفى « العلم » : باب : السمر فى العلم ، وفى « الوضوء » باب : التخفيف فى الوضوء ، وباب قراءة القرآن بعد الحدث وغيره » وفى « الجماعة » باب : « من يقوم عن يمين الإمام ».

واختلف فى الركعتين الأخيرتين : هل هما ركعتا الفجر أو هما غيرهما ؟ فإذا انضاف ذلك إلى عدد ركعات الفرض والسنن الراتبة التى كان يحافظ عليها جاء مجموع ورده بالليل والنهار أربعين ركعة ، كان يحافظ عليها دائماً ، سبعة عشر فرضًا ، وعشر ركعات أو اثنتا عشرة سنة راتبة ، وإحدى عشرة أو ثلاث عشرة ركعة قيامه بالليل ، والمجموع أربعون ركعة ، وما زاد على ذلك فعارض غير راتب كصلاة الفتح ثمان ركعات [1] ، وصلاة الضحى إذا قدم من سفر ، وصلاته عند من يزوره ، وتحية المسجد ونحو ذلك ، فينبغى للعبد أن يواظب على هذا الورد دائماً إلى الممات فما أسرع الإجابة وأعجل فتح الباب لمن يقرعه كل يوم وليلة أربعين مرة . والله المستعان][2] ا هـ .

(١) أخرجه البخارى ومسلم

(٢) زاد المعاد لابن قيم الجوزية ص ٣٢٥ - ٣٢٧ تحقيق عبد القادر وشعيب الأرناؤوط .

« الكَيْفِيَّات التي صلى بها الرسول ﷺ في صلاة الليل والوتر »

لمّا كثر القول في الكيفية التي صلى بها رسول الله ﷺ في صلاة الليل وجدت أشفى وأوفى وأتم وأجمل ما كتب فيها كلام محدث ديار الشام الشيخ محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله وهو من هو : هو مجدد عصرنا هذا في علم الحديث كما قال الشيخ ابن باز .. و « قل رجل يكون مثله في هذا المجال كما قال شيخنا ابن عثيمين في رسالة بعث بها إليّ .

فرأيت أن أنقله بتمامه والله الموفق .

قال المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله :

[اعلم أيها المسلم أن قيام النبي ﷺ في الليل ووتره ، كان على أنواع وكيفيات كثيرة ، ولمّا كان ذلك غير مدون في كتب الفقه ، سواء منها المختصرة أو المطولة ، وكان من الواجب بيان سننه ﷺ للناس لكي تمهد السبيل لمن كان منهم محبًا لاتباعها أن يعمل بها فيكتب لنا أجره إن شاء الله تعالى ، وحتى يتورع عن إنكار شيء منها من كان جاهلاً ، وفقنا الله تبارك وتعالى لاتباعه ﷺ حق الاتباع ، واجتناب ما حذرنا من الابتداع ، فقد وجب بيان ذلك فأقول :

يصلى ١٣ ركعة يفتتحها بركعتين خفيفتين :-

وفيه أحاديث :

الأول : حديث زيد بن خالد الجهني .

الثاني : حديث ابن عباس قال : « بت عند رسول الله ﷺ وهو عند ميمونة ، فقام حتى ذهب ثلث الليل أو نصفه استيقظ فقام إلى شن [1] فيه ماء فتوضأ وتوضأت معه ، ثم قام فقمت إلى جنبه على يساره ، فجعلني على يمينه ، ثم وضع يده على رأسي كأنه يمس أذني كأنه يوقظني فصلى ركعتين خفيفتين ، قد

(١) شن : قربة.

قرأ فيها بأم القرآن فى كل ركعة ، ثم سلم ، ثم صلى حتى صلى إحدى عشرة ركعة بالوتر ثم نام ، فأتاه بلال فقال : الصلاة يا رسول الله فقام فركع ركعتين ، ثم صلى بالناس »[1] .

الثالث : حديث عائشة : قالت : «كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين ، ثم صلى ثمان ركعات ، ثم أوتر » وفى لفظ «كان يصلى العشاء ثم يتجوز بركعتين ، وقد أعد سواكه وطهوره ، فيبعثه الله لما شاء أن يبعثه ، فيتسوك ويتوضأ ثم يصلى ركعتين ، ثم يقوم فيصلى ثمان ركعات ، يُسَوِّى بينهن فى القراءة ، ثم يوتر بالتاسعة فلما أسن[2] رسول الله ﷺ وأخذه اللحم جعل تلك الثمانى ستاً ، ثم يوتر بالسابعة ، ثم يصلى ركعتين وهو جالس يقرأ فيهما ب ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ و ﴿إذا زلزلت﴾[3]

قال الألبانى : ـ واللفظ عند الطحاوى صريح فى أن عدد الركعات ثلاث عشرة ، فهو دليل على أن قولها فى اللفظ الأول : ثم أوتر . أى بثلاث ، ليتفق مجموع الركعات فيه مع هذا اللفظ الآخر ، وبذلك يكون حديث عائشة هذا مثل حديث ابن عباس الذى قبله .

ويلاحظ فى اللفظ الثانى أن عائشة رضى الله عنها ذكرت الركعتين الخفيفتين بعد صلاته ﷺ للعشاء ، ولم تذكر بينهما سنة العشاء ، فهذا يؤيد ما كنت أرجحه أن هاتين الركعتين الخفيفتين هما سنة العشاء والله أعلم .

---

(١) صحيح : قال الألبانى : رواه أبو داود (٢١٥/١) وعنه أبو عوانة فى صحيحه (٣١٨/٢) وأصله فى الصحيحين انظر صلاة التراويح ص ٨٧ . قال الألبانى : « قد فاتت ابن القيم هذه الرواية فقال : « ولم يذكر ابن عباس افتتاحه بركعتين خفيفتين كما ذكرته عائشة ... » .

(٢) [أى كثر لحمه « لحم بدنه » ﷺ ، ففى رواية أخرى للنسائى « حتى أسنّ ولحم فذكرت من لحمه ما شاء الله .

قال السندى : « لحم » أى كثر لحمه] [الألبانى].

(٣) اسناده صحيح : قال الألبانى : أخرجه الطحاوى (١٦٥/١) باللفظين وإسنادهما صحيح ، والشطر الأول من اللفظ أخرجه مسلم (١٨٤/٢) وأبو عوانة وكلهم رووه من طريق الحسن البصرى معنعنا ، لكن أخرجه النسائى وأحمد من طريقه مصرحا بالتحديث باللفظ الثانى نحوه.

يصلى ١٣ ركعة ، منها ثمانية يسلم بين كل ركعتين ، ثم يوتر بخمس لا يجلس ولا يسلم إلاّ فى الخامسة .

وفيه حديث عائشة رضى الله عنها قالت :ـ

« كان ﷺ يرقد ، فإذا استيقظ تسوّك ، ثم توضأ ، ثم صلى ثمان ركعات يجلس بين كل ركعتين فيسلم ، ثم يوتر بخمس ركعات لا يجلس إلا فى الخامسة ، ولا يُسَلِّم إلا فى الخامسة [فإذا أذّن المؤذن قام فصلى ركعتين خفيفتين][1] ورواية أحمد هذه صريحة بأن مجموع الركعات ثلاث عشرة ركعة ما عدا ركعتى الفجر ، فهو بظاهره مخالف لحديث عائشة المتقدم بلفظ « ما كان رسول الله ﷺ يزيد فى رمضان ولا فى غيره على إحدى عشرة ركعة » وقد تقدم الجمع بينهما هناك بما خلاصته أنها أرادت بهذا اللفظ ما عدا الركعتين الخفيفتين اللتين كان ﷺ يفتتح بها صلاة الليل ، وقد وجدت ما هو كالنص فى هذا الجمع وهو حديثها الآخر الذى ذكرت فيه هاتين الركعتين ثم ثمان ركعات ثم الوتر ، وقد مضى فى النوع الذى قبله .

يصلى ١١ ركعة ثم يسلم بين كل ركعتين ، ثم يوتر بواحدة .

لحديث عائشة رضى الله عنها قالت :ـ

« كان ﷺ يصلى فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء ، وهى التى يدعو الناس العتمة ـ إلى الفجر إحدى عشرة ركعة ، يسلّم بين كل ركعتين ويوتر بواحدة ، [ويمكث فى سجوده قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع

---

(١) سنده صحيح : رواه أحمد وسنده صحيح على شرط الشيخين ، وقد أخرجه مسلم وأبو عوانة ، وأبو داود والترمذى وصححه ، والدارمى وابن نصر والبيهق وابن حزم فى المحلى ، رووه كلهم مختصراً ليس فيه التسليم من كل ركعتين ، وروى منه الشافعى والطيالسى والحاكم الإيتار بالخمس فقط ، وللحديث شاهد من حديث ابن عباس أخرجه أبو داود والبيهق وسنده صحيح » ا . هـ . تخريج الألبانى انظر صلاة التراويح ص ٨٩

رأسه] فإذا سكت المؤذن فى الفجر ، وتبين له الفجر ، وجاء المؤذن قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن للإقامة »[1] .

ويشهد لهذا النوع حديث ابن عمر أيضاً أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن صلاة الليل ؟ فقال : « **صلاة الليل مثنى مثنى . فإذا خشى أحدكم الصبح ، ركع ركعة واحدة توتر له ما قد صلى** »[2] وزادا : « فقيل لابن عمر : ما مثنى مثنى ؟ قال : أن يسلّم فى كل ركعتين » وفى رواية مالك والبخارى : - « أن عبد الله بن عمر كان يسلم بين الركعة والركعتين فى الوتر حتى يأمر ببعض حاجته » .

وتفسير ابن عمر المذكور رواه أحمد (رقم ٥١٠٣) مرفوعاً مدرجًا فى صلب الحديث ، لكن فى سنده عبد العزيز بن أبى رواد وهو صدوق ربما وهم ، كما فى « التقريب » وأخشى أن يكون قد وهم فى رفعه . والله أعلم .

يصلى ١١ ركعة ، أربعًا بتسليمة واحدة ، ثم أربعًا مثلها ، ثم ثلاثاً .

رواه الشيخان وغيرهما من حديث عائشة :

عن أبى سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة رضى الله عنها كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ فى رمضان ؟ فقالت : « **ما كان رسول الله ﷺ يزيد فى رمضان ولا فى غيره على إحدى عشرة ركعة[3] يصلى أربعًا فلا تسل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى ثلاثاً** »[4] .

● قال النووى : فى قولها « يصلى أربعًا » وهذا لبيان الجواز ، وإلا فالأفضل

---

(١) رواه مسلم وأبو عوانة وأبو داود والطحاوى وأحمد ، وأخرجه الأولان من حديث ابن عمر أيضاً ، وأبو عوانة من حديث ابن عباس .

(٢) رواه البخارى ومسلم ومالك وأبو عوانة .

(٣) قال الألبانى : « وفى رواية لابن أبى شيبة (١/١١٦/٢) ومسلم وغيرهما « كانت صلاته فى شهر رمضان وغيره ثلاث عشر ركعة بالليل منها ركعتان الفجر » .

(٤) رواه البخارى ومسلم وأبو عوانة وأبو داود والترمذى والنسائى ، ومالك ، وعنه البيهقى وأحمد .

التسليم من كل ركعتين ، وهو المشهور من فعل رسول الله ﷺ ، وأمره بالصلاة مثنى مثنى ا . هـ

● قال الألبانى : « وصدق رحمه الله ، فقول الشافعية : « يجب أن يسلم من كل ركعتين ، فإذا صلاّها بسلام واحد لم تصح » كما فى « الفقه على المذاهب الأربعة » (٢٩٨/١) ، وشرح القسطلانى على البخارى (٤/٥) وغيرها خلاف هذا الحديث الصحيح ، ومناف لقول النووى بالجواز وهو من كبار العلماء المحققين فى المذهب الشافعى فلا عذر لأحد يفتى بخلافه » .

قال الألبانى : « وظاهر الحديث أنه كان يقعد بين كل ركعتين من الأربع والثلاث ، ولكنه لا يسلّم وبه فسّره النووى كما تقدم ، وقد روى ذلك صريحاً فى بعض الأحاديث عن عائشة أنه ﷺ كان لا يسلم بين الركعتين والوتر ، ولكنها معلولة كلها كما ذكر الحافظ ابن نصروالبيهقى والنووى وبينته فى (التعليقات الجياد على زاد المعاد) . فالعمدة فى مشروعية الفصل بالقعود بدون تسليم ظاهر فى هذا الحديث ، ولكن سيأتى ما ينافى هذا الظاهر فى آخر الفصل والله أعلم » .

يصلى ١١ ركعة ، منها ثمان ركعات لا يقعد فيها إلا فى الثامنة يتشهد ويصلى على النبى ﷺ ، ثم يقوم ولا يسلم ، ثم يوتر بركعة ، ثم يسلم ، ثم يصلى ركعتين وهو جالس : -

لحديث عائشة رضى الله عنها رواه سعد بن هشام بن عامر أنه أتى ابن عباس فسأله عن وتر رسول الله ﷺ ، فقال ابن عباس : ألا أدلك على أعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ ؟ قال : من ؟ قال : عائشة ، فأْتِها فاسْألْهَا ، فانطلقت إليها ، قال : قلت : يا أم المؤمنين : أنبئينى عن وتر رسول الله ﷺ ؟ فقالت : -

«كنا نعدُّ له سواكه وطهوره ، فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل ، فيتسوك ويتوضأ ويصلى تسع ركعات ، لا يجلس فيها إلا فى الثامنة ، فيذكر الله

ويحمده [ويصلى على نبيه][1] ، ويدعو ، ثم ينهض ولا يسلم ، ثم يقوم فيصلى التاسعة ، ثم يقعد فيذكر الله ويحمده ، [ويصلى على نبيه ﷺ] ويدعو ، ثم يسلم تسليمًا يسمعنا ، ثم يصلى ركعتين بعد ما يسلم وهو قاعد ، فتلك إحدى عشرة يا بنى ، فلما أسَنّ نبى الله ﷺ ، وأخذ اللحمَ أوتر بسبع ، وصنع فى الركعتين مثل صنيعه الأول فتلك تسع يا بُنىّ »[2] .

يصلى ٩ ركعات ، منها ست ركعات لا يقعد إلا فى السادسة منها ، يتشهد ويصلى على النبى ﷺ ، ثم يقوم ولا يسلم ، ثم يوتر بركعة ، ثم يسلم ، ثم يصلى ركعتين وهو جالس . لحديث عائشة الذى ذكرته .

ثم قال الألبانى : « هذه هى الكيفيات التى كان رسول الله ﷺ يصلى بها صلاة الليل والوتر ، ويمكن أن يزاد عليها أنواع أخرى ، وذلك بأن ينقص من كل نوع من الكيفيات المذكورة سابقاً ما شاء من الركعات ، وحتى يجوز له أن يقتصر على ركعة واحدة ، لقوله ﷺ : « فمن شاء فليوتر بخمس ، ومن شاء فليوتر بثلاث ، ومن شاء بواحدة » .

فهذا الحديث نص فى جواز الإيتار بهذه الأنواع الثلاثة المذكورة فيه ، وإن كان لم يصح النقل بها عن رسول الله ﷺ ، بل صح عن حديث عائشة أنه ﷺ لم يكن يوتر بأقل من سبع كما سبق ، فهذه الخمس والثلاث أن شاء الله صلاها بقعود واحد ، وتسليمة واحدة كما فى النوع الثانى ، وإن شاء

صلاها بقعود واحد ، وتسليمة واحدة كما فى النوع الثانى ، وإن شاء صلاها بقعود بين كل ركعتين بدون سلام كما فى النوع الرابع ، وإن شاء سلّم بين كل ركعتين وهو الأفضل كما فى النوع الثالث وغيره »][3] انتهى كلام الشيخ الألبانى حفظه الله .

---

(١) قال الألبانى : « هذه فائدة هامة فيها البيان الواضح أنه ﷺ كان يصلى على نفسه بنفسه وأنه كان يجعل هذه الصلاة فى التشهد الأول ، كما يجعلها فى التشهد الآخر ، ومن المقرر عند العلماء أنه لا فرق فى أحكام الصلاة بين الفريضة والنافلة إلا بدليل وهو هنا معدوم .

(٢) رواه مسلم وأبو عوانة وأبو داود والنسائى وابن نصر والبيهقى وأحمد .

(٣) انظر صلاة التراويح للألبانى من ص ٨٧ حتى ص ٩٤ .

كيفية قيامه كما ذكرها ابن القيم

قال الحافظ ابن قيم الجوزية فى « زاد المعاد » عن كيفية قيامه ﷺ :

منها هذا الذى ذكره ابن عباس « قام فصلى ركعتين أطال فيهما القيام والركوع والسجود ، ثم انصرف ، فنام حتى نفخ ، ثم فعل ذلك ثلاث مرات بست ركعات ، كل ذلك يستاك ويتوضأ ويقرأ هؤلاء الآيات ثم أوتر بثلاث ، فأذن المؤذن فخرج إلى الصلاة ... »[1] الحديث .

النوع الثانى : ـ ما ذكرته عائشة : أنه كان يفتتح صلاته بركعتين خفيفتين ، ثم يتمم ورده إحدى عشرة ركعة ، يسلم بين كل ركعتين ، ويوتر بواحدة .

ثلاث عشرة ركعة كذلك .

يصلى ثمان ركعات ، يسلم بين كل ركعتين ، ثم يوتر بخمس سردًا متوالية ، لا يجلس فى شىء إلا فى آخرهن .

تسع ركعات ، يسرد منهن ثمانيًا ، لا يجلس فى شىء منهن ، إلا فى الثامنة ، يجلس يذكر الله تعالى ويحمده ويدعوه ، ثم ينهض ولا يسلم ، ثم يصلى التاسعة ، ثم يقعد ويتشهد ويسلم ثم يصلى ركعتين جالساً بعدما يسلم .

النوع السادس : يصلى سبعًا كالتسع المذكورة ، ثم يصلى بعدها ركعتين جالسًا .

النوع السابع : أنه كان يصلى مثنى مثنى ، ثم يوتر بثلاث لا يفصل بينهن ، فهذا رواه الإمام أحمد عن عائشة « أنه كان يوتر بثلاث لا فصل بينهن »[2]

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم فى صلاة المسافرين ، باب « الدعاء فى صلاة الليل وقيامه » .

(٢) رواه أحمد فى المسند ١٥٥/٦ ، ١٠٦ ، ولفظه يرجع إليه ، وفى سنده يزيد ابن جعفر ، قال الذهبى فى الميزان : ليس بحجة ، وقال الدارقطنى يعتبر به أى فى المتابعة ، وإلا فهو لين .

وروى النسائى عنها «كان لا يسلم فى ركعتى الوتر »[1] ، وهذه الصفة فيها نظر ، فقد روى أبو حاتم حبان فى صحيحه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ « **لا توتروا بثلاث أوتروا بخمس ، أو سبع ، ولا تشبهوا بصلاة المغرب** » ، وسيأتى بالتفصيل فى الوتر ـ والأحاديث فى التسليم فى الوتر أقوى وأكثر وأثبت عن النبى ﷺ .

ومن هديه فى القيام أيضا :ـ

قال شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية :ـ

«كان ﷺ يقوم تارة إذا انتصف الليل ، أو قبله بقليل ، أو بعده بقليل ، وربما كان يقوم إذا سمع الصارخ ، وهو إنما يصيح فى النصف الثانى ، وكان يقطع ورده تارة ، ويصله تارة وهو الأكثر ، ويقطعه كما قال ابن عباس فى حديث مبيته عنده ، ولم يذكر ابن عباس افتتاحه بركعتين خفيفتين كما ذكرته عائشة ، فإما إنه كان يفعل هذا تارة ، وهذا تارة ، وإما أن تكون عائشة حفظت مالم يحفظ ابن عباس وهو الأظهر لملازمتها له ، ولمراعاتها ذلك ، ولكونها أعلم الخلق بقيامه بالليل » ا . هـ .

---

(١) إسناده صحيح : قال عبد القادر الأرناؤوط : « رواه النسائى ٣/٢٣٤ فى صلاة الليل : باب كيف الوتر بثلاث ، والحاكم ١/٣٠٤ ، والدارقطنى ص ١٧٥ ، والطحاوى ١/٢٨٠ ، والبيهقى ٣/٣١ ، وإسناده صحيح ، وقال النووى فى شرح المهذب ٤/٧ : رواه النسائى بإسناد حسن ، والبيهقى فى السنن الكبير بإسناد صحيح » ا .

« هديه إذا تكرر قيامه »

عن ابن عباس حدّث : أنه بات عند نبي الله ﷺ ذات ليلة فقام نبي الله ﷺ من الليل فخرج فنظر إلى السماء ثم تلا هذه الآية التى فى آل عمران ﴿ **إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار**﴾ حتى بلغ ﴿ **سبحانك فقنا عذاب النار**﴾ ثم رجع إلى البيت فتسوّك وتوضأ ثم قام فصلى ثم اضطجع ثم رجع أيضًا فنظر فى السماء ثم تلا هذه الآية ثم رجع فتسوك وتوضأ ثم قام فصلى ، ثم اضطجع ، ثم رجع أيضًا فنظر فى السماء ثم تلا هذه الآية ، ثم رجع فتسوك وتوضأ ، ثم قام فصلى »[١] .

---

(١) إسناده صحيح : رواه أحمد فى مسنده وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح حديث رقم (٢٤٨٨) .

هديه فى افتتاح صلاته بركعتين خفيفتين

مرّ بك بعض الأحاديث فى ذلك ، وإليك حديثان آخران يدلان على استحباب ذلك لينشط بهما لما بعدهما .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :

« **إذا قام أحدكم من صلاة الليل فليستفتح صلاته بركعتين خفيفتين** »[1]

وعن عائشة قالت : «كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل ليصلى افتتح صلاته بركعتين خفيفتين »[2] .

فهذا نصحٌ منه ﷺ لأمته ، وقد فعله .

«كان ابن سيرين رحمه الله يقرأ فيهما فى الركعة الأولى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة** ﴾ إلى قوله ﴿ **أصحابَ النار هم فيها خالدون** ﴾ وفي الثانية ﴿ **لله ما في السموات وما في الأرض** ﴾ . إلى آخر السورة[3] .

---

(١) إسناده صحيح : رواه أحمد فى مسنده وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح . أنظر حديث رقم (٧٧٣٤) ، ورواه مسلم ولفظ مسلم : « إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين .

(٢) رواه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين باب صلاة النبى ﷺ ودعاؤه بالليل .

(٣) مختصر قيام الليل ص ٥٥ .

افتتاحه القيام بركعتين طويلتين أحيانًا

قال محمد بن نصر رحمه الله عن افتتاحه ﷺ صلاته من الليل بركعتين خفيفتين : « وهذا عندنا اختيار وليس بواجب . فإن افتتح صلاته بركعتين طويلتين فذلك مباح والدليل على ذلك : -

حديث حذيفة رضى الله عنه قال : « صليت مع النبى ﷺ ذات ليلة فافتتح بالبقرة فقلت يركع عند المائة الأولى ثم مضى ، فقلت يصلى بها فى ركعة ، فمضى ، فقلت يركع بها ثم افتتح النساء فقرأها ، ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبّح ، وإذا مرّ بسؤال سأل ، وإذا مرّ بتعوذ تعوذ ، ثم ركع فجعل يقول : سبحان ربى العظيم ، فكان ركوعه نحوًا من قيامه ، ثم قال سمع الله لمن حمده ، ثم قام طويلاً قريبًا مما ركع ، ثم سجد فقال سبحان ربى الأعلى فكان سجوده قريبًا من قيامه »[١] .

عن ابن عباس قال : كنت فى بيت ميمونة فقام النبى ﷺ يصلى من الليل فقمت معه على يساره فأخذ بيدى فجعلنى عن يمينه ، ثم صلى ثلاث عشرة ركعة حَزَرتُ قَدْر قيامه فى كل ركعة قدر ﴿ ياأيها المزمل ﴾[٢]

● عن عوف بن مالك الأشجعى قال : قمت مع رسول الله ﷺ ليلة فقام فقرأ سورة البقرة ، لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل ، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ ، قال : ثم ركع بقدر قيامه يقول فى ركوعه « سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ، ثم سجد بقدر قيامه ثم قال فى سجوده مثل ذلك ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة سورة »[٣] ا . هـ . أى سورة النساء ثم المائدة .

---

(١) رواه مسلم واللفظ له باب استحباب تطويل القراءة فى صلاة الليل ، والنسائى وأبو داود .

(٢) إسناده صحيح : رواه أحمد فى مسنده وأبو داود : وصححه الشيخ شاكر ٣٤٥٩ ، والألبانى فى صفة الصلاة والساعاتى فى الفتح الربانى .

(٣) إسناده حسن : رواه أبو داود واللفظ له فى الصلاة باب : ما يقول الرجل فى ركوعه وسجوده ، والنسائى فى الافتتاح فى باب نوع آخر من الذكر وحسّنه الألبانى فى مشكاة المصابيح رقم (٨٨٢) وعبد القادر الأرناؤوط فى « جامع الأصول » .

صفة صلاته ﷺ

طولها : -

● عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : -

« صَلَّيْتُ مع رسول الله ﷺ فأطال حتى هممت بأمرِ سَوْءٍ . قال قيل : وما هممتَ به ؟

قال : هممت أن أجلس وأدَعه »[1] .

وعند البخارى بلفظ : « صليتَ مع النبى ﷺ ليلةً فلم يزل قائماً حتى هممت بأمر سوء قلنا : وما هممت ؟ قال : هممت أن أقعد وأذرَ النبى ﷺ »..

قال الحافظ فى الفتح : « وفى الحديث دليل على اختيار النبى ﷺ تطويل صلاة الليل ، وقد كان ابن مسعود قويًا محافظاً على الاقتداء بالنبى ﷺ وما همّ بالقعود إلا بعد طولٍ كثير ما اعتاده »[2] .

● وعن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :

« **أفضل الصلاة طول القنوت** »[3] .

قال النووى : « المراد بالقنوت هنا القيام باتفاق العلماء فيما علمت ، وفيه دليل الشافعى ومن يقول كقوله : إن تطويل القيام أفضل من كثرة الركوع والسجود » .

عن حذيفة : أنه رأى رسول الله ﷺ يصلى من الليل فكان يقول الله أكبر (ثلاثاً) ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة ، ثم استفتح فقرأ البقرة ثم ركع فكان ركوعه نحوًا من قيامه ، وكان يقول فى ركوعه : سبحان ربى العظيم ،

---

(١) رواه البخارى فى التهجد باب طول القيام فى صلاة الليل ، ومسلم فى صلاة المسافرين ، باب استحباب تطويل القراءة فى صلاة الليل ، ورواه ابن ماجة .

(٢) فتح البارى ج ٣ كتاب التهجد ص ١٩ .

(٣) صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين باب صلاة الليل مثنى مثنى .

سبحان ربى العظيم ، ثم رفع رأسه من الركوع فكان قيامه نحوًا من ركوعه ، يقول : « لربى الحمد » ثم سجد فكان سجوده نحوًا من قيامه ، فكان يقول فى سجوده : « سبحان ربى الأعلى » ثم رفع رأسه من السجود ، وكان يقعد فيما بين السجدتين نحوًا من سجوده ، وكان يقول « رب اغفرلى ، رب اغفرلى » فصلى أربع ركعات قرأ فيهنّ (البقرة وآل عمران والنساء) والمائدة أو الأنعام[1] شك شعبة .

عن أنس رضى الله عنه قال : وجد رسول الله ﷺ ذات ليلة شيئًا فلما أصبح قيل يا رسول الله إن أثر الوجع عليك لبيِّن . قال : « **إنى على ما ترون بحمد الله قد قرأت السبع الطوال** »[2] .

- « وكان ـ أحيانًا ـ يقرأ فى كل ركعة بسورة منها »[3] .
- وما علم عنه أنه قرأ القرآن كله فى ليلة قط .

---

(١) إسناده صحيح : رواه أبو داود وصححه الألبانى فى المشكاة رقم (١٢٠٠) وعبد القادر الأرناؤوط فى تعليقه على « جامع الأصول » .

(٢)صحيح : قال الألبانى : أخرجه أبو يعلى والحاكم فى كتاب صلاة التطوع وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى وسكت عنه الألبانى .

حديث رقم (٢) : وقال الهيثمى : رجاله ثقات ، وأورده الحافظ فى المطالب العالية وضعفه الألبانى فى التعليق على حديث رقم (١١٣٦) من صحيح ابن خزيمة وقال : إسناده ضعيف مؤمل صدوق سيء الحفظ انظر صفة الصلاة رقم ٦٦ والمستدرك جـ١ ص ٣٠٨ .

(٣) الحديث رقم (٣) : إسناده صحيح : رواه أبو داود والنسائى بإسناد صححه الألبانى فى صفة الصلاة ص ٦٧ .

حديث جامع :

عن زرارة أن سعد بن هشام بن عامر أتى عباس فسأله عن وتر رسول الله ﷺ فقال ابن عباس ألا أدلك على أعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ ؟ قال : من ؟ قال : عائشة فأْتِها فاسألها ثم ائتنى فأخبرنى بردها عليك ، فانطلقت إليها فأتيت على حكيم بن أنطح فاستلْحَقْتُهُ إليها فقال : ما أنا بقاربها لأنى نهيتُها أن تقول فى هاتين الشيعتين شيئاً فأبت فيهما إلا مضياً قال : فأقسمتُ عليه فجاء فانطلقنا إلى عائشة فاستأْذنّا عليها فأذنت لنا فدخلنا عليها فقالت : أحكيمٌ « فَعَرَفْتُهُ » فقال : نعم فقالت : من معك ، قال : سعد بن هشام ، قالت مَنْ هشام ؟ قال : ابن عامر فترحمتْ عليه وقالت : خيراً « قال قتادة : وكان أصيب يوم أحد » .

فقلت : يا أم المؤمنين : أنبئينى عن خلق رسول الله ﷺ ؟ قالت : ألست تقرأ القرآن ؟ قُلت : بلى ، قالت : فإن خلق نبى الله ﷺ كان القرآن .

قال : فهمَمَتُ أن أقوم ولا أسأل أحداً عن شىء حتى أموت ، ثم بدا لى فقلت : أنبئينى عن قيام رسول الله ﷺ ، قالت : ألست تقرأ « يا أيها المزمل » ؟ قلت : بلى ، قالت : فإن الله عز وجل افترض قيام الليل فى أول هذه السورة فقام نبى الله ﷺ وأصحابه حولاً ، وأمسك الله خاتمتها اثنى عشر شهراً فى السماء حتى أنزل الله فى آخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة .

قال : قلت : يا أم المؤمنين : أنبئينى عن وتر رسول الله ﷺ . فقالت : كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضأ ويصلى تسع ركعات لا يجلس فيها إلا الثامنة ، فيذكر الله ويحمده ويدعوه ثم ينهض ولا يسلم ، ثم يقوم فيصلى التاسعة ، ثم يقعد فيذكر الله ويحمده ويدعوه ثم يسلم تسليماً يُسمعنا ثم يصلى ركعتين بعدما يسلم وهو قاعد فتلك إحدى عشرة

ركعة يا بُني ، فلما أسنّ نبي الله ﷺ وأخذ اللحم أوتر بسبع وصنع فى الركعتين مثل صنيعه الأول فتلك تسع يا بنى ، وكان نبى الله ﷺ إذا صلىّ صلاة أحب أن يداوم عليها ، وكان إذا غلبه نوم أو وجع عن قيام الليل صلّى من النهار ثنتى عشرة ركعة ، ولا أعلم نبي الله ﷺ قرأ القرآن كله فى ليلة ، ولا صلى ليلة إلى الصبح ، ولا صام شهراً كاملاً غير رمضان .

قال : فانطلقت إلى ابن عباس فحدثته بحديثها ، فقال : صَدَقَتْ لو كنتُ أَقربُها أو أدخل عليها لأتيتها حتى تشافهنى به ، قال : قلت : لو علمتُ أنك لا تدخل عليها ما حدّثتك حديثها[1] .

وكان ﷺ لا يقرأ القرآن فى أقل من ثلاث . عن عائشة رضى الله عنها قالت : «كان ﷺ لا يقرأ القرآن فى أقل من ثلاث »[2]

● وكان يقرأ فى كل ليلة بـــ « بنى إسرائيل والزمر وتبارك والسجدة المسبحات » .

عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ :

«كان لا ينام حتى يقرأ (آلم) تنزيل السجدة و « تبارك الذى بيده الملك »[3]

وعن عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله ﷺ «كان لا ينام حتى يقرأ بنى

---

(١) رواه مسلم وأبو داود .

(٢) حديث رقم (٢) صحيح : أخرجه ابن سعد (١/٣٧٦) وأبو الشيخ فى « أخلاق النبى ﷺ » قال المناوى : ورمز السيوطى لحسنه ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٧٤٢) .

(٣) حديث رقم (٣) صحيح :ـ رواه أحمد فى مسنده ، والترمذى والنسائى والحاكم . وقال البغوى : غريب وقال الصدر المناوى : فيه اضطراب . وقال الحاكم على شرطها ورمز السيوطى لصحته وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٧٤٩) .

إسرائيل والزمر »[1] و « كان ﷺ يقرأ المُسَبِّحَات قبل أن ينام ، وإذا اضطجع »[2].

و « كان - أحياناً - يقرأ فى كل ركعة قدر خمسين آية أو أكثر »[3]

هديه فى القراءة ليلاً

الترتيل فى القيام :

عن حفصة رضى الله عنها : « كان رسول الله ﷺ يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها »[4] وفى رواية أخرى عنها رضى الله عنها :

« كان يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها »

وكانت قراءته ﷺ مُفَسَّرَةً حرفاً » : -

عن يعلى بن مملك أنه سأل أم سلمة عن قراءة رسول الله ﷺ وصلاته ؟ فقالت : « ما لكم وصلاته[5] ، كان يصلى ، وينام قدر ما صلى ، ثم يصلى قدر ما نام ، ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح ، ونعتت قراءته فإذا هى تنعت قراءته مفسرة حرفاً حرفاً »[6] أى مرتلة ومجوّدة مميزة غير مخالطة ، بل كان يقرأ بحيث يمكن عد حروف ما يقرأ ، والمراد حسن الترتيل والتلاوة .

---

(١) حديث رقم (١): صحيح : رواه أحمد فى مسنده والترمذى والحاكم والدارمى . وقال الترمذى : حسن غريب وصححه الحاكم ووافقه الذهبى ورمز السيوطى لصحته وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٧٥٠) .

(٢) حديث رقم (٢): أخرجه الترمذى وحسّنه ، وأبو داود وحسنه الحافظ انظر حديث رقم (٩٩٤) من كتاب النصيحة فى الأذكار والأدعية الصحيحة للشيخ محمد بن أحمد بن اسماعيل نشر دار وطيبة

(٣) حديث رقم (٣) : أخرجه البخارى وأبو داود .

(٤) حديث رقم (٤) أخرجه مسلم ومالك .

(٥) معناه : أى شيء يحصل لكم مع وصف قراءته وصلاته وأنتم لا تستطيعون أن تفعلوا مثله ففيه نوع تعجب ونظيره قول عائشة رضى الله عنها : « وأيكم يطيق ما كان رسول الله ﷺ يطيق » .

(٦) تخريج الحديث رقم (٥) سنده صحيح : قال المنذرى : أخرجه الترمذى والنسائى ، وقال = =

قال الطيبي : « وهذا يحتمل وجهين : أحدهما أن تقول : كانت قراءته كيت وكيت .

وثانيهما : أن تقرأ مرتلة مبينة كقراءة النبي ﷺ كذا ذكره في المرقاة »[1] .

● وكان ﷺ يمد قراءته مدًا :

عن قتادة قال : « سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي ﷺ فقال : كان يمد مدًا »[2]

وعن قتادة قال : « سئل أنس : كيف كانت قراءة النبي ﷺ فقال : «كانت مَدًّا . ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد ببسم الله ، ويمد بالرحمن ، ويمد بالرحيم »[3] والمراد أنه كان يمد ما كان في كلامه من حروف المد واللين بالقدر المعروف والشرط المعلوم .

● وكان ﷺ يقف على رؤس الآى :

عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ : «كان يُقَطِّعُ قراءته آية آية » : (الحمد لله رب العالمين) ثم يقف : (الرحمن الرحيم) ثم يقف »[4] .

« ولقد كان جماعة من الأئمة السالفين والقراء الماضين يستحبون القطع على الآيات وإن تعلق بعضهن ببعض وهى سنة أعرض عنها الناس »[5] فالواجب

= الترمذى : حسن صحيح غريب وأخرجه أحمد وابن المبارك فى الزهد ص ١٩٢ وصحح إسناده الألبانى فى صفة الصلاة وفى المشكاة رقم (١٢١٠) .

● الحديث رقم (٢) : أخرجه البخارى وأبو داود .

● الحديث رقم (٣) البخارى وأحمد فى المسند والنسائى وابن ماجة .

(٤) الحديث رقم (٤) : صحيح : أخرجه الترمذى وأحمد وأبو داود وابن خزيمة والحاكم وقال الحاكم على شرط الشيخين وأقره الذهبى ، وقال الترمذى : حسن غريب . وقال الدارقطنى : إسناده صحيح وصححه السيوطى والألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٨٧٦) وصححه أيضا عبد القادر الأرناؤوط .

(٥) أبو عمرى الدانى فى المكتفى ونقله عنه الألبانى فى صفة الصلاة .

لمن كان له عقل يعقل عن رسول الله ﷺ التأدب بأدب رسول الله ﷺ . وها هو ينصح أمته .

فعن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« **يقال لصاحب القرآن : اقرأْ وارتَقِ ، ورتِّلْ كما كنت تُرتِّلُ فى الدنيا ، فإن منزلك عند آخر آيةٍ تقرؤها** »[1] .

ولقد سار على هذا الهدى صحابة رسول الله ﷺ وسلف الأمة .

« فعن علقمة قال : صليت مع ابن مسعود من أول الليل إلى انصرافه من الفجر فكان يرتل ولا يرتجع ويسمع من فى المسجد .

وفى رواية أن علقمة قرأ على عبد الله رضى الله عنه وكان حسن الصوت فكأنه عجل ، قال رتل فداك أبى وأمى فإنه زين القرآن » . وعن ابن مسعود رضى الله عنه :

« لا تهذُّوا القرآن كهذِّ الشعر ولا تنثروه كنثر الدقل ، وقفوا عند عجائبه ، وحرّكوا به القلوب ، ولا يكون همّ أحدكم من السورة آخرها » .

- وعن ابن عباس فى قوله ﴿ **ورتّل القرآن ترتيلا** ﴾ بيّنه تبيينا .

وعن ابن أبى مليكة « سافرت مع ابن عباس من مكة إلى المدينة وهم يسيرون إليها ، وينزلون بالليل فكان ابن عباس رضى الله عنه يقوم نصف الليل فيقرأ القرآن حرفا حرفا ثم حكى قراءته قال : ثم يبكى حتى نسمع لى نشيجا » .

- وقال ابن عون : كان محمد بن سيرين يحب الترتيل فى القرآن ويقول :

---

(١) تخريج حديث رقم (١) : حسن : أخرجه أحمد فى مسنده وأبو داود والترمذى وقال الألبانى إسناده حسن انظر المشكاة رقم (٢١٣٤) .

هذه الأصوات التى تقرؤنها محدثة . وقيل لمجاهد : رجل يعجل فى القراءة وآخر يترسل . قال : إن أحب الناس إلى الله أعقلهم عنه »[١] .

قال ابن القيم : « وذكر الزهرى أن قراءة رسول الله ﷺ كانت آية آية ، وهذا هو الأفضل ، الوقوف على رءوس الآيات وإن تعلقت بما بعدها ، وذهب بعض القراء إلى تتبع الأغراض والمقاصد والوقوف عند انتهائها ، واتباع هدى النبى ﷺ وسنته أولى . وممن ذكر ذلك البيهقى فى « شعب الإيمان » وغيره ، ورجح الوقوف على رءوس الآى وإن تعلقت بما بعدها »[٢] ا.هـ .

« قال مجاهد وطاووس كانوا يستحبون إذا قام الرجل من الليل أن يمد صوته بالآية من القرآن »[٣] .

- **وكان ﷺ - أحيانًا - يُرَجِّعُ صوته :**

- فعن أم هانىء رضى الله عنها قالت : «كنت أسمع صوت النبى ﷺ وهو يقرأ وأنا نائمة على فراشى يرجّع القرآن »[٤] .

وعند محمد بن نصر «...قراءة النبى ﷺ وأنا نائمة على عريشى يرجّع بالقرآن » .

وعند ابن ماجة «كنت أسمع قراءة النبى ﷺ وأنا على عريشى »[٥] ، [٦] .

---

(١) مختصر قيام الليل ص ٥٦ .
(٢) زاد المعاد طبع مؤسسة الرسالة ج ١ ص ٣٣٧ .
(٣) مختصر قيام الليل ص ٥٧ .
(٤) تخريج الحديث رقم ٨٢ : إسناده صحيح .
قال الحافظ فى الفتح ج ١ باب الترجيع « رواه الترمذى فى « الشمائل » والنسائى وابن ماجة وابن أبى داود واللفظ له . وقال الشيخ الأرناؤوط : أخرجه أيضًا أحمد وإسناده صحيح .
(٥) إسناده صحيح : قال فى الزوائد عن حديث ابن ماجة : إسناده صحيح ورجاله ثقات ، رواه ابن ماجة فى كتاب « إقامة الصلاة » باب « ما جاء فى القراءة فى صلاة الليل» حديث رقم (١٣٤٩) ج ١ ص ٤٢٩ .
(٦) العريش : هو البيت : أى سقف بيتها ، والمراد ما يستظل به ، وقد سميت بيوت مكة عروشًا لأنها عيدان تنصب وتظلل .

قال الحافظ فى « الفتح » : « هو تقارب ضروب الحركات فى القراءة وأصله الترديد ، وترجيع الصوت : ترديده فى الحلق » .

وقال أيضًا « والذى يظهر أن فى الترجيع قدرًا زائدًا على الترتيل ، وقال الشيخ أبو محمد بن أبى حمزة : معنى الترجيع : تحسين التلاوة لا ترجيع الغناء ، لأن القراءة بترجيع الغناء تنافى الخشوع الذى هو مقصود التلاوة » ا.هـ .

وقال المناوى : « وذلك ينشأ غالبًا على أريحية وانبساط » ا.هـ .

ولا شك أن رسول الله ﷺ كان يحصل له من ذلك حظ وافر فى قيام الليل قال النووى فى شرحه لحديث ترجيع النبى ﷺ سورة الفتح على راحلته يوم فتح مكة :

« قال القاضى عياض : أجمع العلماء على تحسين الصوت بالقراءة وترتيلها . قال أبو عبيد : والأحاديث الواردة فى ذلك محمولة على التحزين والتشويق . قال : واختلفوا فى القراءة بالألحان فكرهها مالك والجمهور لخروجها عما جاء القرآن له من الخشوع والفهم ، وأباحها أبو حنيفة وجماعة من السلف للأحاديث ، ولأن ذلك سبب للرقة وإثارة الخشية وإقبال النفوس على استماعه .

قال النووى : قلت : « قال الشافعى فى موضع : أكره القراءة بالألحان ، وقال فى موضع : لا أكرهها قال أصحابنا : ليس له فيها خلاف ، وإنما هو اختلاف حالين فحيث كرهها أراد إذا مطّط وأخرج الكلام عن موضعه بزيادة أو نقص أو مد غير ممدود ، وإدغام مالا يجوز إدغامه ، ونحو ذلك .

وحيث أباحها أراد إذا لم يكن فيها تغير لموضع الكلام . والله أعلم »[1] ا.هـ .

---

(١) شرح النووى بصحيح مسلم ج ٢ ص ٤٤٨ والحديث أخرجه البخارى ومسلم عن عبد الله بن مغفل المزنى .

بكاؤه فى صلاته

عن عبد الله بن الشخير رضى الله عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلى ، وفى صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء »[1] .

وأيم الله لقد كان خوفه ﷺ وهو سيد الخائفين لا يوصف ولا يجارى فقد قال ﷺ :

« **شيَّبتنى هود وأخواتها** »[2] وفى حديث آخر « **شيَّبتنى هود وأخواتها قبل المشيب** »[3] .

وقال ﷺ : « **شيبتنى هود وأخواتها من المفصّل** »[4] وقال ﷺ : « **شيَّبتنى هود والواقعة والمرسلات وعمّ يتساءلون وإذا الشمس كوّرت** »[5] .

عن عطاء قال : ـ « دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رضى الله عنها فقال عبد الله بن عمير :

حدثينا بأعجب شىء رأيتيه من رسول الله ﷺ فبكت ، وقالت : ـ

---

(١) الحديث رقم (١) : إسناده صحيح : رواه أبو داود والترمذى فى الشمائل ، وقال النووى فى « الأربعين النووية » إسناده صحيح ، وقال الألبانى فى « التراويح » إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٢) الحديث رقم (٢) صحيح : أخرجه الطبرانى فى الكبير عن عقبة بن عامر وعن أبى جحيفة وصححه السيوطى والألبانى فى صحيح الجامع رقم (٣٦١٤) .

(٣) الحديث رقم (٣) : صحيح : أخرجه ابن مردويه عن أبى بكر وحسّنه السيوطى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٣٦١٥) والصحيحة رقم (٩٥٥) .

(٤) الحديث رقم (٤) : صحيح : أخرجه سعيد بن منصور فى « سننه » عن أنس و « ابن مردويه » عن عمران وصححه السيوطى والألبانى فى صحيح الجامع رقم (٣٦١٦) .

(٥) الحديث رقم (٥) : صحيح : رواه الترمذى فى « الشمائل » عن ابن عباس ، وفى السنن ، وقال حديث حسن غريب ، والحاكم عن أبى بكر فى « المستدرك » وقال : صحيح على شرط البخارى ووافقه الذهبى والحاكم أيضًا عن ابن عباس . والحديث أخرجه أيضًا ابن مردويه عن سعد ، و « ابن سعد » فى « الطبقات » و أبو نعيم فى « الحلية » والضياء فى « الأحاديث المختارة » . وقال ابن الصلاح فى الاقتراح إسناده على شرط البخارى وحسّنه السيوطى فى الدرر وفى الجامع الصغير» وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٣٦١٧)

قام ليلة من الليالى فقال : يا عائشة ذريني أتعبد لربى ، قالت : قلت : والله إنى لأحب قربك ، وأحب ما يسرك ، قالت : فقام فتطهر ، ثم قام يصلى ، فلم يزل يبكى حتى بل حجره ، ثم بكى ، فلم يزل يبكى حتى بلّ الأرض ، وجاء بلال يؤذن بالصلاة فلما رآه يبكى ، قال : يا رسول الله تبكى وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : « **أفلا أكون عبدًا شكورًا . لقد نزلت علىّ الليلة آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ﴿ إن فى خلق السموات والأرض﴾** الآية [(١)] .

صفة قراءته

كان ﷺ يسر بالقراءة فى صلاة الليل تارة ، ويجهر تارة بها كما قال ابن القيم فى زاد المعاد .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : «كانت قراءة رسول الله ﷺ بالليل قدر ما يسمعه من فى الحجرة وهو فى البيت » وعند أبى داود : «كانت قراءة رسول الله ﷺ على قدر ما يسمعه من فى الحجرة وهو فى البيت .

قال القارى : المراد بالحجرة أخص من البيت يعنى كان لا يرفع صوته كثيرًا ولا يسر بحيث لا يسمعه أحد ، وهذا إذا كان يصلى ليلاً وأما فى المسجد فكان يرفع صوته فيها كثيرًا ذكره ابن الملك » ا .هـ .

وقال الألبانى : « الحجرة » هنا ما يتخذ حجرة للمبيت عند بابه ، مثل الحريم للبيت . والحديث يعنى أنه ﷺ كان يتوسط بين الجهر والإسرار » [(٢)] ا .هـ .

---

(١) الحديث رقم (١) : إسناده جيد : رواه أبو الشيخ (ابن حبان فى « أخلاق النبى ﷺ ») وابن حبان فى صحيحه وصححه الألبانى .

(٢) انظر « صفة صلاة النبى » فى التعليق على «الجهر والإسرار فى القراءة فى صلاة الليل » .

و «كان ربما رفع صوته أكثر من ذلك حتى يسمعه من كان ظلى عريشه »[1]
أى خارج الحجرة .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

«كانت قراءة النبى ﷺ ربما يسمعه من فى الحجرة ؛ وهو فى البيت »[2]

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

«كانت قراءة النبى ﷺ بالليل يرفع طورًا ويخفض طورًا »[3] .

وعند ابن نصر عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ «كان إذا قرأ من الليل رفع طورًا وخفض طورًا »[3] .

عن أم هانئ قالت :

«كنت أسمع قراءة النبى ﷺ بالليل وأنا على عريشى »[4]

عن عبد الله بن أبى قيس قال : سألت عائشة كيف كانت قراءة النبى ﷺ بالليل فقالت :-

«كل ذلك قد كان يفعل ، ربما أسرّ بالقراءة وربما جهر » . فقلت : « الحمد

---

(١) الحديث (١) أورده هكذا الألبانى فى « صفة الصلاة » وقال : رواه النسائى والترمذى فى « الشمائل » والبيهقى فى « الدلائل » بإسناد حسن .

(٢) الحديث رقم (٢) : أخرجه أبو داود والترمذى فى « الشمائل » واللفظ له وقال الألبانى : إسناده حسن صحيح وقال الألبانى : هذا الحديث يدل على تواسطه ﷺ فى القراءة . انظر مختصر الشمائل المحمدية للشيخ الألبانى طبع المكتبة الإسلامية بالأردن حديث رقم ٢٧٥ ص ١٦٩ .

(٣) الحديث رقم (٣) : حسن : رواه أبو داود فى سننه ، والحاكم فى المستدرك ، وابن حبان فى صحيحه وابن نصر فى « الصلاة » وسكت عنه أبو داود والمنذرى فهو صالح كما قال المناوى وحسّنه السيوطى والألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٦٤٣) .

(٤) الحديث رقم (٤) : حسن صحيح : أخرجه النسائى وابن ماجة والترمذى فى « الشمائل » واللفظ له وقال الألبانى : إسناده حسن صحيح قولها : وأنا على عريشى « أى على سريرى » . والرسول ﷺ يصلى فى الليل عند الكعبة انظر « مختصر الشمائل المحمدية » ص ١٦٧ حديث رقم (٢٧٢) .

لله الذى جعل فى الأمر سعة »[1] ولفظ النسائى : « سألت عائشة كيف كانت قراءة رسول الله ﷺ بالليل يجهر أم يُسِرّ ؟ قالت : كل ذلك قد كان يفعل ربما جهر وربما أسر » .

وقال صاحب تحفة الأحوذى : الحديث يدل على أن الجهر والإسرار جائزان فى قراءة صلاة الليل ، وحديث أبى قتادة [سيأتى ذكره فى قيام الصديق] يدل على أن المستحب فى القراءة فى صلاة الليل التوسط بين الجهر والإسرار » .

عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ :

« **ما أذن الله لشيء ماأذن لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به** »[2] .

وقال رسول الله ﷺ : « **الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة ، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة** »[3] .

قال النووى رحمه الله : « جاءت أحاديث بفضيلة رفع الصوت بالقراءة ، وآثار بفضيلة الإسرار ، قال العلماء والجمع بينهما أن الإسرار أبعد من الرياء فهو أفضل فى حق من يخاف ، فإن لم يخف فالجهر أفضل بشرط أن لا يؤذى غيره من مصل أو نائم أو غيرهما » ا .هـ .

وسيمر بك مرور رسول الله ﷺ وسماعه لأبى موسى من الليل وسماعه لعباد ابن بشر ودعاؤه له وسماعه لرجل ذكره « آية من القرآن أُنْسيها . وسماعه أصوات الأشعريين بالقرآن ، وفيها جواز رفع الصوت بالقراءة فى الليل ، وفى المسجد ولا كراهة فيه إذا لم يؤذ أحدًا ولا تعرض للرياء والإعجاب » ا .هـ . من عون المعبود .

---

(١) إسناده حسن : رواه الترمذى واللفظ له ، والنسائى نحوه ، وقال الترمذى حديث صحيح غريب ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبى ، وقال الشوكانى فى « نيل الأوطار » رجاله رجال الصحيح ، وقال عبد القادر الأرناؤوط والشاويش إسناده حسن فى التعليق على شرح السنة ج ٤ ص ٢٩ .

(٢) رواه البخارى ومسلم واللفظ له باب تحسين الصوت بالقرآن وابن مندة فى التوحيد .

(٣) صحيح : رواه أبو داود والترمذى والنسائى عن عقبة بن عامر ، والحاكم عن معاذ وقال الترمذى =

وفى فعله ﷺ سعة وهديًا لمن جاء بعده من أمته .

« عن أبى بكر بن محمد قال أتتنا عمرة فباتت عندنا فقمت من الليل أصلى فجعلت أخافت بقراءتى فقالت يا ابن أختى لم لا تجهر بالقرآن فوالله ما كان يوقظنا بالليل إلا قراءة معاذ القارئ أو قراءة أفلح مولى أبى أيوب وفى رواية وتميم الدارى .

وقال عن أبيه محمد بن أبى بكر أنه كان يرفع صوته بالقراءة بالليل »[1] ا . هـ .

هديه فى التغنى بالقرآن

قال رسول الله ﷺ : « **لَيْسَ منّا مَنْ لَمْ يتغَنَّ بالقرآن** »[2] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « **ما أذن الله لشىء ما أذن للنبى أن يتغنى بالقرآن** »[3] ، وفى لفظ آخر : « **ماأذن لنبى أن يتغنّى بالقرآن** » وآخر « **كما يأذن لنبى بالقرآن** » وآخر « **ما أذن الله لشىء ما أذن لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به** » .

وآخر « **لم يأذن الله لشىء ما أذن لنبى أن يتغنّى بالقرآن** » .

وآخر : « **ما أذن لنبى فى الترنم فى القرآن** »[3] .

وآخر : « **حسن الترنم بالقرآن** »[3] .

وردت عدة تأويلات لتفسير التغنى .

قال الحافظ فى الفتح : « والحاصل أنه يمكن الجمع بين أكثر التأويلات

= حسن غريب وصححه الحاكم ووافقه الذهبى وصححه السيوطى والألبانى فى صحيح الجامع رقم (٣١٠٠) وفى إسناد الطريق الأول اسماعيل ابن عياش وفيه مقال ومنهم من يصحح عن الشاميين وهذا الحديث شامى الإسناد .

(١) مختصر قيام الليل للسمرقندى ص ٥٧ .

(٢) أخرجه البخارى عن أبى هريرة ، وأبو داود وأحمد فى مسنده والحاكم عن سعد ، وأبو داود عن أبى لبابه ابن عبد المنذر ، والحاكم عن ابن عباس وعن عائشة والدارمى وابن نصر .

(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وأحمد فى مسنده عن أبى هريرة ، والطبرى والطحاوى وابن أبى داود

المذكورة وهو أنه يحسن صوته ، جاهرًا به ، مترنمًا على طريق التحزن ، مستغنيًا به عن غيره من الأخبار »[1] طالبًا به غنى النفس[2] وقد نظمت ذلك فى بيتين :

تغنّ بالقرآن حسّن به الصو ت حزينًا جاهرًا رنّمْ
واستغن عن كتب الألى طالبًا غنى يد ، والنفس ثم الزمْ

ولقد اختلف على كلمة التغنى : قال ابن الجوزى : « يتغنى على أربعة أقوال : ـ

أحدها : تحسين الصوت والثانى : الاستغناء والثالث : التحزن قاله الشافعى والرابع : التشاغل به تقول العرب : تغنى بالمكان أقام فيه .

« وفيه أقوال أخرى سردها الحافظ ابن حجر العسقلانى فى الفتح :

التلذذ والاستحلاء له : كما يستلذ أهل الطرب بالغناء ، فأطلق عليه تغنيًا من حيث إنه يفعل عنده ما يفعل عند الغناء ، وهو كقول النابغة :

بكاء حمامة تدعو هديلاً مُفَجَّعَةً على فَنَنٍ تغنى

أطلق على صوتها غناء لأنه يطرب كما يطرب الغناء وإن لم يكن غناء حقيقة .. حكاه ابن الأنبارى فى « الزاهر » .

وفيه قول آخر حسن : « وهو أنه يجعله هجيراه كما يجعل المسافر والفارغ هجيراه الغناء ، قال ابن الأعرابى : كانت العرب إذا ركبت الإبل تتغنى وإذا جلست فى أفنيتها وفى أكثر أحوالها ، فلما نزل القرآن أحب النبى ﷺ أن يكون هجيراه التلاوة مكان التغنى »[3] ا . هـ .

- « عن إبراهيم : ما بعث الله نبيًا إلا حسن الوجه والصوت »[4]

---

(1) ، (2) رأيان لسفيان بن عيينة .

(3) انظر فتح البارى ج ٣ باب التهجد شرح باب من لم يتغن بالقرآن .

(4) مختصر قيام الليل ص ٦٠ .

(ما أذن) : قال العلماء : معنى « أذن » فى اللغة : الاستماع ومنه قوله تعالى : ﴿ وأذنت لربها وحُقّتْ﴾ .

وقال عدى بن زيد :

أيها القلب تعلل بردن إن هَمِّى فى استماع وأذن

وقال النووى : « معنى يتغنى عند الشافعى وأصحابه وأكثر العلماء من الطوائف وأصحاب الفنون : يُحَسِّنُ صوته به » .

قال الليث بن سعد : يتغنى : يتحزن به ويرقق به قلبه .

- « وعن أبى هريرة أنه قرأ سورة فحزنها شبه الرثى »[1] .
- [وعن عُبيد من عمير قال «كان داود عليه السلام يتغنّى حين يقرأ ويبكى ويُبَكِّى » .

وعن ابن عباس : « أن داود كان يقرأ الزبور بسبعين لحنًا ، ويقرأ قراءة يطرب منها المحموم ، وكان إذا أراد أن يبكى نفسه لم تبق دابة فى بر ولا بحر إلا أنصتت له واستمعت وبكت » .

[ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم ، لأن للتطريب تأثيراً فى رقة القلب وإجراء الدمع ، وقد كان بين السلف اختلاف فى جواز القراءة بالألحان أما تحسين الصوت وتقديم حسن الصوت على غيره فلا نزاع فى ذلك ، فإن لم يكن حسنًا فليحسِّنَهُ ما استطاع ، ومن جملة تحسينه أن يراعى فيه قوانين النغم ، فإن الحسن الصوت يزداد حُسنًا بذلك ما لم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراءات فإن خرج عنها لم يفِ تحسين الصوت بقبح الأداء ، ولعَلّ هذا مستند من كره القراءة بالأنغام لأن الغالب على من راعى الأنغام أن لا يراعى الأداء ، فإن وجد من يراعيها معًا فلا شك فى أنه

---

(٣) إسناده حسن : ذكره ابن أبى داود انظر فتح البارى شرح باب من لم يتغن بالقرآن ج ٣.

أرجح من غيره ، لأنه يأتى بالمطلوب من تحسين الصوت ويجتنب الممنوع من حرمة الأداء والله أعلم][1]

● قال رسول الله ﷺ : « **تعلّموا كتاب الله وتعاهدوه ، واقتنوه ، وتغنّوا به فوالذى نفسى بيده لهُوَ أشد تفلتا من المخاض فى العقل** »[2]

● عن فضالة بن عُبيد مرفوعًا « لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته »[3] .

● وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن من أحسن الناس صوتًا بالقرآن الذى إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله** »[4]

● وقال ﷺ « **إن من أحسن الناس صوتًا بالقرآن الذى إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله** »[5] .

---

(١) فتح الباب شرح باب من لم يتغن بالقرآن ج ٣ كتاب التهجد.

(٢) حديث (٢) : سنده صحيح ، رواه الدارمى وأحمد بسند صححه الألبانى فى صفة الصلاة ص ٧٢ والمخاض هى الإبل ، والعقل جمع عقال وهو الحبل الذى يعقل به البعير.

(٣) حديث رقم (٣) رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وصححه على شرط الشيخين ، وابن حبان وصححه ، والكجى ، وقال الذهبى : هو منقطع .

(٤) حديث رقم (٤) صحيح : أخرجه ابن ماجة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٢١٩٨) .

(٥) حديث رقم (٥) : صحيح : رواه ابن المبارك فى « الزهد » و « الدارمى » وابن نصر والطبرانى وأبو نعيم فى « أخبار أصفهان » والضياء فى « المختارة » انظر الألبانى فى صفة صلاة .

• وقال رسول الله ﷺ « **حسنوا القرآن بأصواتكم ، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حُسنًا** »[1] وفى رواية « **زينوا القرآن بأصواتكم** »[2] .

• وفى رواية « **زينوا القرآن بأصواتكم ، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنًا** »[3] .

وروى مسلم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ « **إن عبد الله بن قيس أو الأشعرى أُعطِىَ مزمارًا من مزامير آل داود** »

وعند البخارى « **يا أبا موسى ، لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود** » والمراد بآل داود داود نفسه لأنه لم ينقل أن أحدًا من أولاد داود ولا من أقاربه كان أعطى من حسن الصوت ما أُعطِىَ ، وقد يطلق آل الرجل على نفس الرجل ، قال تعالى ﴿ **أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** ﴾ وفرعون أولهم والمراد بالمزمار الصوت الحسن ، وأصله الآلة ، أطلق اسمه على الصوت للمشابهة .

---

(١) حديث رقم (١) : صحيح : رواه البخارى تعليقاً والدارمى والحاكم وتمام الرازى بسندين صحيحين كما قال الألبانى فى « صفة الصلاة » وابن نصر فى « الصلاة » وكلهم عن البراء بن عازب وحسنه السيوطى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٣١٤٠)

(٢) حديث رقم (٢) : « **زينوا القرآن بأصواتكم** » : **صحيح : رواه أحمد فى مسنده والنسائى** وأبو داود وابن ماجة والحاكم عن البراء . وأبو نصر السجزى فى « الإبانة عن أبى هريرة ، والدارقطنى فى « الأفراد » والطبرانى فى المعجم الكبير عن ابن عباس ، وأبو نعيم فى الحلية عن « عائشة » ، والدارمى وأبو نعيم فى «الحلية» عن البراء ، وابن حبان فى صحيحه عن أبى هريرة . وابن سعد وابن نصر عن ابن مسعود ، وعلقه البخارى فى آخر الصحيح ، وقال ابن حجر : هذا الحديث لم يصله البخارى فى صحيحه ووصله فى « خلق أفعال العباد » وصححه الحاكم وابن حبان وحسنه الدارقطنى وصححه السيوطى ، والألبانى فى صحيح الجامع رقم (٣٥٧٤) ، وصحح إسناده عبد القادر الأرناؤوطى فى التعليق على شرح السنة ج ٤ ص ٤٨٦ .

(٣) **حديث رقم (٣) : صحيح : رواه الحاكم فى فضائل القرآن ، والدارمى عن البراء ، وصححه الحاكم والسيوطى والألبانى فى صحيح الجامع رقم (٣٥٧٥) .**

قال أبو عثمان النهدى « دخلت دار أبى موسى الأشعرى فما سمعت صوتا صنج ولا بربط ولا ناى أحسن من صوته »[1].

وقال أيضا : «إنه كان ليصلى بنا فنودّ أنه قرأ البقرة من حسن صوته وهو يقرأ القرآن ، فقال علىّ بن أبى طالب لعمر بن الخطاب : ألا تنهى هذا عن أن يغنى بالقرآن فى مسجد رسول الله ﷺ فأمهل عمر حتى إذا كان الليل خرج فاستمع لأبى موسى وهو يقرأ فلما سمع قراءته رقّ لها حتى بكى ثم انصرف ، فلما أصبح واجتمع إليه أصحابه قال لهم : من استطاع منكم أن يغنى غناء أبى موسى فليفعل .

وقدِمَ أبو موسى رضى الله عنه على معاوية فنزل فى بعض الدور بدمشق فخرج معاوية من الليل إلى منزله يمشى حتى استمع قراءته [2].

ولقد كان رسول الله ﷺ يحب سماع القرآن ليلاً من غيره ، سمعه من سالم مولى أبى حذيفة فحمد الله أن جعل فى أمته مثله ، وسمعه من أبى موسى الأشعرى ووقف لقراءته ، واستمعه من عبّاد بن بشر ودعا له فالقرآن سماع التبيين فارق بقلبك وتصور صوت رسول الله ﷺ وما أحلى صحله وهو يترنم فى الليل ، وقد أرخى الليل سدوله ، وتصوَّر خوفَ سيد العابدين وحسن صوته وبكائه وقد رأى عند سدرة المنتهى ما رأى ثم عاد إلى الأرض ومعه الحنين والشوق إلى مولاه ، وارق إلى داود فى روضات الفردوس وهو قائم عند ساق العرش ومولاه يقول له : يا داود مجدنى بذلك الصوت الحسن الرّخيم ، فيقول كيف وقد سلبتنيه فى الدنيا فيقول : فإنى أرده عليك فيرفع داود صوته بالزبور والقرآن فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنة اللهم بَلّغنا روضات الجنان .

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية وقال الحافظ فى الفتح شرح باب : حسن الصوت بالقراءة بالقرآن إسناده حسن

(٢) مختصر قيام الليل ص ٥٩ .

ومن هديه التعوذ والتسبيج فى القراءة :

عن حذيفة بن اليمان قال : كان ﷺ إذا مرّ بآية خوف تعوّذ ، وإذا مرّ بآية رحمة سأل ، وإذا مرّ بآية فيها تنزيه لله سبَّح [1] .

قال المناوى فى فيض القدير « قال الحليمى : فينبغى للمؤمنين سواه أن يكونوا كذلك ، بل هم أولى به منه إذا كان الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وهم من أسرهم على خطر »[2] ا.هـ .

● وفى لفظ آخر عند ابن خزيمة « صليت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ، ما مرّ بآية رحمة إلا وقف عندها فسأل ، ولا مرّ بآية عذاب إلا وقف عندها تعوّذ »[3] .

وعند النسائى : « لا يمر بآية رحمة إلا سأل ، ولا بآية عذاب إلا استجار » .

---

(١) حديث رقم (١) : رواه مسلم وأحمد فى مسنده ، وأبو داود فى سننه ، والنسائى وابن ماجه

(٣) حديث رقم (٣) إسناده صحيح كما قال الدكتور مصطفى الأعظمى فى تحقيق الحديث رقم ٥٤٣ من صحيح ابن خزيمة .

قيامه بآية حتى الصباح

عن جَسرة بنت دجَاجَة قالت : سمعت أبا ذر يقول « قام النبي ﷺ حتى إذا أصبح بآية ، والآية ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ [(1)] .

وفى لفظ ابن ماجة وابن خزيمة : قام النبى ﷺ بآية حتى أصبح يرددها ، والآية ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ .

وفى لفظ آخر قام رسول الله ﷺ حتى أصبح يتلو آية واحدة من كتاب الله بها يركع وبها يسجد ، وبها يدعو حتى أصبح ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ فلما أصبح قلتُ لعبد الله بن مسعود إن رسول الله ﷺ فعل الليلة كذا وكذا فلو سألته عن ذلك ، فقال عبد الله : بأبي وأمي يا رسول الله قمت الليل بآية واحدة بها تركع وبها تسجد وبها تدعو ، وقد علمك الله القرآن كله [لو فعل هذا بعضنا لوجدنا عليه] قال إني دعوت لأمتي [**إني سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فأعطانيها ، وهي نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله شيئًا**] [(2)] .

عن خباب بن الأرت رضى الله عنه وكان قد شهد بدراً مع رسول الله ﷺ أنه راقب رسول الله ﷺ الليلة كلها حتى كان مع الفجر فلما سلم رسول الله ﷺ من صلاته جاءه خباب فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي ، لقد صليت الليلة صلاة ما رأيتك صليت نحوها فقال رسول الله ﷺ : « **أجل : إنها صلاة رغب**

---

(١) حديث رقم (١) : إسناده صحيح : رواه النسائى فى كتاب افتتاح الصلاة ـ ترديد الآية ، وابن ماجة باب ما جاء فى القراءة فى صلاة الليل كتاب إقامة الصلاة ، وأحمد فى مسنده وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم وابن نصر ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبى ، وقال الهيثمى إسناده صحيح ورجاله ثقات وصححه د . مصطفى الأعظمى فى تحقيق صحيح ابن خزيمة ج ١ ص ٢٧١ ، وعبد القادر الأرناؤوط فى التعليق على زاد المعاد ج ١ ص ٣٣١ .

(٢) لفظ النسائى . اللفظ عند ابن نصر فى قيام الليل سوى ما بين الأقواس [ ] .

ورهب [وإنى] سألت ربى عز وجل فيها ثلاث خصال فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة، سألت ربى عز وجل أن لا يهلكنا بما أهلك به الأمم قبلنا فأعطانيها ، وسألت ربي عز وجل أن لا يظهر علينا عدواً من غيرنا فأعطانيها ، وسألت ربي أن لا يلبسنا شيعًا فمنعنيها »[1]

هديه فى الجمع بين السورتين فى ركعة

عن أبى وائل قال « جاء رجل إلى ابن مسعود فقال : قرأت المفصل الليلة فى ركعة فقال : هذا كهذّ الشعر . لقد عرفت النظائر التى كان النبى ﷺ يقرن بينهن - فذكر عشرين سورة من المفصل . سورتين فى ركعة »[2] .

وفى طرف آخر عند البخارى : « غدونا على عبد الله فقال رجل : قرأت المفصل البارحة فقال : هذا كهذّ الشعر ، إنا قد سمعنا القراءة ، وإنى لأحفظ القرناء التى كان يقرأ بهن الرسول ﷺ : ثمانى عشرة سورة من المفصل وسورتين من ال حم »[3] .

وفى لفظ آخر للبخارى « اثنين اثنين فى كل ركعة فقام عبد الله ودخل معه علقمة وخرج علقمة فسألناه فقال عشرون سورة من أول المفصل على تأليف ابن مسعود آخرهن الحواميم حم الدخان وعمّ يتساءلون »[4] .

ولفظ مسلم : عن أبى وائل : « قال جاء رجل يقال له نَهيكُ بن سِنان إلى عبد الله فقال يا أبا عبد الرحمن كيف تقرأ هذا الحرف أَلِفًا تجده أم ياءً

---

(١) الحديث رقم (١) .

رواه النسائى كتاب قيام الليل باب إحياء الليل ، وأحمدوالترمذى فى الفتن وقال حديث حسن صحيح والطبرانى .

وفى لفظ [أن لا يهلك أمتى بسنة]

(٢) البخارى ومسلم واللفظ البخارى كتاب الأذان باب الجمع بين السورتين فى ركعة ، ورواه ابو داود والنسائى .

(٣) ، (٤) البخارى كتاب فضائل القرآن باب الترتيل فى القراءة وباب تأليف القرآن .

من ماءٍ غير آسن أو من ماءٍ غير ياسنٍ قال فقال عبد الله : وكُل القرآن أحصيت غيرَ هذا ؟

قال : إنى لأقرأ المفصل فى كل ركعة فقال عبد الله هذًّا كهذِّ الشعر إن أقواماً يقرءون القرآن لا يُجاوز تراقيهم ولكن إذا وقع فى القلب فرسخ فيه نفع ، إن أفضل الصلاة الركوع والسجود إنى لأعلم النظائر التى كان رسول الله ﷺ يَقْرن

بينهن سورتين فى كل ركعة ثم قام عبد الله فدخل علقمة فى أثره ثم خرج فقال قد أخبرنى بها[1] ا.هـ. وفى لفظ آخر عنده : جاء رجل من بنى بَجيلة إلى عبد الله وعنده عشرون سورة من المفصل فى تأليف عبد الله .

- وفى حديث نحوه : اثنتين فى ركعة عشرين سورة فى عشر ركعات .
- وعنده أيضاً :

« قال رجل من القوم قرأت المفصل البارحة كله قال فقال عبد الله هذّاً كهذّ الشعر ، إنا لقد سمعنا القرائن وإنى لأحفظ القرائن التى كان يقرأهن رسول الله ﷺ ثمانية عشر من المفصل وسورتين من آل حم » .

« والنظائر هى السور المتماثلة فى المعانى كالموعظة أو الحكم أو القصص . والمفصل منتهاه آخر القرآن اتفاقاً ، وابتداؤه من (ق) على الأصح »[2] ا.هـ.

وسمى مفصلاً لقصر سوره ، وقرب انفصال بعضهن من بعض .

قوله : عشرون سورة فى عشر ركعات :

قال النووى « قال القاضى : هذا صحيح موافق لرواية عائشة وابن عباس أن قيام النبى ﷺ كان إحدى عشرة ركعة بالوتر ، وأن هذا كان قدر قراءته غالباً ، وأن تطويله الوارد إنما كان فى التدبر والترتيل ، وما ورد من غير ذلك فى

---

(١) مسلم كتاب صلاة المسافرين باب ترتيل القران واجتناب الهذّ .

(٢) صفة صلاة النبى ﷺ ص ٥٧ نقلاً عن فتح البارى ج ٢ .

قراءته البقرة والنساء وآل عمران كان فى نادر من الأوقات »[1] ا.هـ

قوله « عشرون من المفصل » .

لا تعارض فيه لأن مراده فى الثانية معظم العشرين من المفصل بدليل أنه فرق بينهما فى الأولى . وقوله فى الأولى أكثر تفصيلاً .

(آل حم) : يعنى حم .

قال الحافظ فى الفتح :

« وفى الأحاديث : كراهة الإفراط فى سرعة التلاوة لأنه ينافى المطلوب من التدبر والتفكر فى معانى القرآن ، وفيه جواز تطويل الركعة الأخيرة على ما قبلها ، وإذا جاز الجمع بين السورتين ساغ الجمع بين ثالث فصاعداً لعدم الفرق .

عن عبد الله بن شقيق قال : سألت عائشة : « أكان رسول الله ﷺ يجمع بين السور؟ قالت : نعم من المفصل »[2] .

«ولا يخالف هذا أنّه جمع بين البقرة وغيرها من الطوال لأنه يحمل على النادر .

وليس فى حديث ابن مسعود ما يدل على المواظبة ، بل فيه أنه كان يقرن بين السور المعنيات إذا قرأ من المفصل »[3] ا.هـ .

ولقد ورد ذكر هذه السور فى رواية ابن خزيمة الآتية وعند أبى داود .

ففى صحيح ابن خزيمة :

« جاء نهيك بن سنان إلى عبد الله فقال : كيف تجد هذا الحرف : من ماء غير آسن أو ياسنٍ ؟ فقال : أَكُلَّ القرآن أحصيت غير هذا ؟

قال : إنى لأقرأ المفصل فى ركعة . فقال عبد الله : هذّاً كهذّ الشعر ، إن

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ٢/٢٧١-٢٧٢

(٢) الحديث رقم (٢) : رواه أبو داود وصححه ابن خزيمة .

(٣) فتح البارى ج ٢ ص ٢٥٥ ، ٢٧٨ .

أقواماً يقرؤون القرآن بألسنتهم لا يعدو تراقيهم ، ولكنه إذا دخل فى القلب فرسخ فيه نفع . وإن أخير الصلاة الركوع والسجود . وإنى لأعلم النظائر التى كان رسول الله ﷺ يقرأ بهن سورتين فى كل ركعة فى كل ركعة ، ثم أخذ بيد علقمة فدخل ، ثم خرج فعدّهن علينا .

قال الأعمش : وهى عشرون سورة على تأليف عبد الله ، أولهن الرحمن وآخرتهن الدخان .

الرحمن والنجم ، الذاريات والطور ، هذه النظائر . واقتربت والحاقة ، والواقعة ونون ، والنازعات سأل سائل ، والمدثر والمزمل ، وويل للمطففين وعبس ، ولا أقسم وهل أتى ، والمرسلات وعمّ يتساءلون ، وإذا الشمس كورت والدخان »[1] ,[2]

هديه فى طول ركوعه ليلاً وما يقول فيه

عن البراء رضى الله عنه قال : «كان ركوع النبى ﷺ وسجوده ، وبين السجدتين ، وإذا رفع من الركوع ، ما خلا القيام والقعود قريباً من السواء »[3]

ولقد مر فى حديث حذيفة « فكان ركوعه نحواً من قيامه » ولقد قام فى تلك الليلة بالبقرة والنساء وآل عمران .

ومرّ بك حديث عوف بن مالك الأشجعى ، ولفظ النسائى عنه .

« قمت مع رسول الله ﷺ ليلة فلما ركع مكث قدر سورة البقرة يقول فى ركوعه وسجوده : « سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة » .

---

(١) رواه ابن خزيمة فى صحيحه كتاب الصلاة باب إباحة قراءة السورتين فى الركعة الواحدة ج ١ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ وذكره مسلم مختصراً وكذا النسائى .

(٢) ولقد ذكر أبو داود السور فى كتاب الصلاة باب تحزيب الآى . إلا أن أبا داود كان يذكر كلمة ركعة فيقول الرحمن والنجم فى ركعة . وفى الثانية عنده اقتربت والحاقة ، والثالثة عنده هى الثانية فى رواية ابن خزيمة ، وويل للمطففين وعبس مكان المدثر والمزمل ولم يخالفه فى الاقتران » .

(٣) حديث رقم (٣) : متفق عليه .

• وعند ابن خزيمة عن حذيفة : قال « صليت مع النبى ﷺ ذات ليلة فكان ركوعه مثل قيامه ، فقال فى ركوعه « سبحان ربى العظيم » .

فالسنة فى القيام طول الركوع حتى يكون قريباً من القيام فالزمها .

أذكار الركوع

« سبحان ربى العظيم ثلاث مرات »[1] .

وكان أحياناً يكررها أكثر من ذلك ، وبالغ مرة فى تكرارها فى صلاة الليل حتى كان ركوعه قريباً من قيامه .

« سبحان ربى العظيم وبحمده ثلاثاً »[2] .

« سبوح قدوس رب الملائكة والروح »[3] .

«سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفرلى، وكان يكثر منه فى ركوعه وسجوده يتأول القرآن » . وفى لفظ آخر لمسلم « سبحانك وبحمدك ، استغفرك واتوب إليك »[4] .

« اللهم لك ركعت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت [أنت ربى] خشع لك سمعى وبصرى ، ومخى وعظمى (وفى رواية : وعظامى) وعصبى ، [وما استقلت به قدمى لله رب العالمين] »[5] .

« اللهم لك ركعت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، وعليك توكلت ، أنت

---

(١) قال الألبانى فى « صفة صلاة النبى ﷺ : رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة والدارقطنى والطحاوى والبزار والطبرانى فى الكبير عن سبعة من الصحابة ففيه رد على من أنكر ورود التقييد بثلاث تسبيحات كابن القيم وغيره .

(٢) جزء من حديث صحيح رواه أبو داود والدارقطنى وأحمد والطبرانى والبيهقى .

(٣) جزء من حديث عند مسلم وأبى عوانة « السبوح : الذى ينزه عن كل سوء ، والقدوس : المبارك وقيل الطاهر .

(٤) جزء من حديث فى البخارى ومسلم .. معنى يتأول القرآن يعمل بما أُمر به فيه أى فى قوله تعالى ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره ﴾ .

(٥) جزء من حديث صحيح عند مسلم وأبى عوانة والطحاوى والدارقطنى .

ربي خشع سمعي وبصري ودمي ولحمي وعظمي وعصبي لله رب العالمين »
« سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة » .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : « افتقدت النبي ﷺ ذات ليلة فظننت أنه ذهب إلى بعض نسائه فتحسست ثم رجعت ، فإذا هو راكع أو ساجد يقول « سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت » فقلت بأبي أنت وأمي إني لفي شأن وإنك لفي آخر »[٢]

(**فائدة**) : قال الألباني : « هل يشرع الجمع بين هذه الأذكار في الركوع الواحد أم لا ؟ اختلفوا في ذلك ، وتردد فيه ابن القيم في « الزاد » وجزم النووي في « الأذكار » بالأول فقال : « والأفضل أن يجمع بين هذه الأذكار كلها إن تمكن ، وكذا ينبغي أن يفعل في جميع الأبواب » .

وتعقبه أبو الطيب صديق حسن خان فقال في « نزل الأبرار » (٨٤) « يأتي مرة بهذه ، وبتلك أخرى ، ولا أرى دليلاً على الجمع ، وقد كان رسول الله ﷺ لا يجمعها في ركن واحد ، بل يقول هذا مرة ، وهذا مرة والاتباع خير من الابتداع » قال الألباني : « هذا هو الحق إن شاء الله تعالى ، لكن قد ثبت في السنة إطالة هذا الركن وغيره حتى يكون قريبًا من القيام ، فإذا أراد المصلي الاقتداء به ﷺ في هذه السنة فلا يمكنه ذلك إلا على طريقة الجمع الذي ذهب إليه النووي ، وقد رواه ابن نصر في «قيام الليل» عن عطاء ، وإلا على طريقة التكرار المنصوص عليه في بعض الأذكار ، وهذا أقرب إلى السنة والله أعلم »[٣]

قال ابن جريج قلت لعطاء كيف تقول في الركوع : « قال إذا لم أعجل ولم

---

(١) جزء من حديث صحيح رواه النسائي بسند صححه الألباني في صفة الصلاة .
(٢) حديث (٢) رواه مسلم باب ما يقول في « الركوع والسجود » .
(٣) « صفة صلاة النبي ﷺ ص ٧٨ـ٧٩ .

يكن معى من يعجلنى فإنى أقول سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت ، سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً ثلاث مرات ، وسبحان ربى العظيم ثلاث مرات ثم أقول سبحان الله وبحمده ثلاث مرات وسبحان الملك القدوس ثلاث مرات ، وسبوح قدوس رب الملائكة والروح تسبق رحمة ربى غضبه مرار »[1] .

هديه فى الرفع من الركوع وأذكاره

مر بك سابقاً « وكان قيامه نحوًا من ركوعه وكان ركوعه ، وإذا رفع رأسه من الركوع ، وسجوده بين السجدتين قريباً من السواء » .

أما أذكار الرفع من الركوع فهى مثل باقى الصلوات .

عن حذيفة أنه صلى مع رسول الله ﷺ ذات ليلة فسمعه حين كبّر قال الله أكبر ذا الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ، وكان يقول فى ركوعه : سبحان ربى العظيم ، وإذا رفع رأسه من الركوع قال : لربى الحمد ، لربى الحمد ، وفى سجوده « سبحان ربى الأعلى ، وبين السجدتين : رب اغفرلى ، رب اغفرلى ، وكان قيامه وركوعه وإذا رفع رأسه من ركوعه وسجوده وما بين السجدتين قريباً من السواء »[2]

« ربنا ولك الحمد »[3] وتارة يقول :

« ربنا لك الحمد »[4] وتارة يضيف إلى هذين اللفظين قوله اللهم »[5] .

---

(١) مختصر قيام الليل للسمرقندى ووردت مطولة أكثر من ذلك فى المصنف ج ١ ص ١٦١ .

(٢) حديث (٢) إسناده صحيح : قال الألبانى رواه أبو داود والنسائى بسند صحيح ، انظر صفة صلاة النبى ﷺ .

(٣ ، ٤) البخارى ومسلم .

(٥) البخارى وأحمد : وقد سها ابن القيم رحمه الله فأنكر فى « الزاد » صحة الرواية الجامعة بين « اللهم » و « الواو » أنها فى « صحيح البخارى » ومسند أحمد ، والنسائى وأحمد أيضـاً من طريقين عن أبى هريرة ، وعند الدارمى من حديث ابن عمر ، وعند البيهقى عن أبى سعيد الخدرى ، وعند النسائى من حديث أبى موسى « قاله الألبانى » .

وتارة يزيد على ذلك :

« ملء السموات ، وملء الأرض ، وملء ما شئت من شيء بعد »[1] .

وإما « ملء السموات و [ملء] الأرض ، وما بينهما ، وملء ما شئت من شيء بعد »[2] .

وتارة يضيف إلى ذلك قوله :

« أهل الثناء والمجد ، لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد »[3].

وتارة تكون الإضافة :

« ملء السموات ، وملء الأرض ، وملء ما شئت من شيء بعد ، أهل الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد ، وكلنا لك عبد [اللهم] لا مانع لما أعطيت [ولا معطى لما منعت] ولا ينفع ذا الجد منك الجد »[4] .

« ربنا ولك الحمد ، حمداً كثيراً طيبا مباركاً فيه [مباركاً عليه ، كما يحب ربنا ويرضى][5] .

(١ ، ٢) مسلم وأبو عوانة .

(٣) مسلم وأبو عوانة .

(٤) أبو داود والنسائي بسند صحيح .

(٥) مالك والبخاري وأبو داود أنظر « صفة صلاة النبي » ص ٨١ .

هديه فى سجوده وأذكار السجود

طول سجوده :

عن عروة أن عائشة أخبرته أن رسول الله ﷺ كان يصلى إحدى عشرة ركعة كانت تلك صلاته يسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه ، ويركع ركعتين قبل صلاة الفجر ، ثم يضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المنادى للصلاة »[1] .

وكان سجوده نحواً من قيامه من الركوع .

أذكار السجود عامة :

« سبحان ربى الأعلى ثلاث مرات »[2] وكان أحياناً يكررها أكثر من ذلك وكان يبالغ فى تكرارها فى سجوده فى صلاة الليل .

« سبحان ربى الأعلى وبحمده ثلاثاً »[3] .

« سبوح قدوس رب الملائكة والروح » .

« سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفرلى » .

عن عائشة كان النبى ﷺ يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده « اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلى يتأول »[4] القرآن .

اللهم لك سجدت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، [وأنت ربى] سجد وجهى للذى خلقه وصوره [فأحسن صورد] ، وشق سمعه وبصره ، [ف] تبارك الله أحسن الخالقين[5]

---

(١) البخارى ج ٣ كتاب التهجد باب طول السجود فى قيام الليل .

(٢) أحمد فى مسنده وأبو داود وابن ماجه والطبرانى فى الكبير والطحاوى والبزار والدارقطنى .

(٣) صحيح : رواه أبو داود وأحمد فى مسنده والبيهقى والطبرانى وصححه الألبانى .

(٤) البخارى ومسلم .

(٥) مسلم وأبو عوانة والطحاوى والدارقطنى .

« اللهم اغفرلى ذنبى كله ، دقه وجله ، وأوله وآخره ، وعلانيته وسرّه »[1] .

« سجد لك سوادى وخيالى ، وآمن بك فؤادى ، وأبوء بنعمتك علىّ ، هذى يدى وما جنيت على نفسى »[2] .

وورد فى ذكره فى سجوده ليلاً الأذكار التالية « ولاينفى ذلك مشروعية هذه الأوراد فى « الفرض » لعدم وجود الفرق بينه وبين النفل ، وبهذا يقول الشافعى وأحمد وإسحاق يرون أن هذا جائز فى المكتوبة والتطوع ، كما حكاه الترمذى وذهب إلى مشروعية ذلك الإمام الطحاوى أيضاً فى « مشكل الآثار » .. والنظر الصحيح يؤيد ذلك ، لأنه ليس فى الصلاة مكان لا يشرع فيه ذكر ، فينبغى أن يكون كذلك الأمر ههنا وهذا بيّن لا يخفى »[3] .

« سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة » .

« اللهم [إنى] أعوذ برضاك من سخطك ، و [أعوذ] بمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »[4] .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته ، فوقعت يدى على بطن قدميه وهو فى المسجد ، وهما منصوبتان وهو يقول « اللهم أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »[5] .

● قال الخطابى : « فى هذا معنى لطيف ، وذلك أنه استعاذ بالله تعالى وسأله

---

(١) مسلم وأبو عوانة .

(٢) ابن نصر والبزار والحاكم وصححه أنظر صفة الصلاة للألبانى .

(٣) « صفة صلاة النبى ﷺ » ص ٨٧ .

(٤) مسلم وأبو عوانة وابن أبى شيبة فى المصنف .

(٥) صحيح مسلم باب ما يقول فى الركوع والسجود حديث رقم ١١٨ .

أن يجيره برضاه من سخطه ، وبمعافاته من عقوبته ، والرضاء والسخط ضدان متقابلان ، وكذلك المعافاة والعقوبة ، فلما صار إلى ذكر مالا ضد له وهو الله سبحانه وتعالى استعاذ به منه لا غير ، ومعناه الاستغفار من التقصير فى بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه ، وقوله « لا أحصى ثناءً عليك : أى لا أطيقه ولا آتى عليه ، وقيل : لا أحيط به ، وقال مالك رحمه الله تعالى : معناه لا أحصى نعمتك وإحسانك والثناء بها عليك وإن اجتهدت فى الثناء عليك . وقوله « أنت كما أثنيت على نفسك » : اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء وأنه لا يقدر على بلوغ حقيقته ، ورد للثناء إلى الجملة دون التفصيل والإحصار والتعيين ، فوكل ذلك إلى الله المحيط بكل شىء »[1] ا . هـ .

« سبحانك [اللهم] وبحمدك ، لا إله إلا أنت »[2] .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « فقدت رسول الله ﷺ من مضجعه فجعلت ألتمسه ، وظننت أنى بعض جواريه ، فوقعت يدى عليه وهو ساجد وهو يقول « اللهم اغفرلى ما أسررت وما أعلنت »[3] .

عن ابن عباس قال « بت عند خالتى ميمونة بنت الحرث ، وبات رسول الله ﷺ عندها ، فرأيته قام لحاجته ، فأتى القربة فحلّ شناقها ، ثم توضأ وضوءًا بين الوضوء ين ، ثم أتى فراشه ، فنام ، ثم قام قومة أخرى فأتى القربة فحلّ شناقها ثم توضأ وضوءًا هو الوضوء ، ثم قام يصلى ، وكان يقول فى سجوده : -

« اللهم اجعل فى قلبى نورًا [وفى لسانى نورًا] ، واجعل فى سمعى نورًا ، واجعل فى بصرى نورًا ، واجعل من تحتى نورًا ، واجعل من فوق نورًا ، وعن يمينى نورًا ، وعن يسارى نورًا ، واجعل أمامى نورًا ، واجعل خلفى نورًا ،

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٢) جزء من حديث فى صحيح مسلم وأبو عوانة والنسائى وابن نصر .

(٣) صحيح رواه ابن أبى شيبة والنسائى والحاكم وصححه ووافقه الذهبى حديث ١١٩ .

وأعظم لى نورًا وفى لفظ مسلم « واجعلنى نورًا »[1].

عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يقول فى صلاة الليل فى سجوده :

« **سبحانك لا إله إلا أنت** »[2]

• عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« **أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا فيه من الدعاء** »[3].

قال الحافظ فى الفتح « الأمر بإكثار الدعاء فى السجود يشمل الحث على تكثير الطلب لكل حاجة ، ويشمل التكرار للسؤال الواحد »[4] ا.هـ .

« أذكار ما بين السجدتين »

مرت بك أحاديث مطولة ورد فيها ذكر ما بين السجدتين .

عن حذيفة أن النبى ﷺ كان يقول بين السجدتين .

« **رب اغفرلى ، رب اغفرلى** »[5].

عن ابن عباس قال : « بت عند خالتى ميمونة قال : فانتبه رسول الله ﷺ من الليل فذكر الحديث ، قال : ثم ركع ، قال : فرأيته قال فى ركوعه : سبحان ربى العظيم ، ثم رفع رأسه ، فحمد الله ما شاء أن يحمده ، قال ثم سجد ، قال : فكان يقول فى سجوده : سبحان ربى الأعلى ، قال : ثم رفع رأسه فكان يقول فيما بين السجدتين : « **رب اغفرلى وارحمنى ، واجبرنى ، وارفعنى ، وارزقنى واهدنى** »[6].

---

(١) حديث (١) رواه مسلم وأبو عوانة وابن أبى شيبة فى المصنف والنسائى واللفظ له سوى ما بين القوسين .

(٢) حديث (٢) أحمد فى مسنده ورجاله ثقات .

(٣) رواه مسلم وابو داود والنسائى وأحمد والبيهقى وأبو عوانة .

(٤) فتح البارى ج ٢ ص ٣٠٠ .

(٥) (٥) رواه ابن ماجه وقال الألبانى فى « صفة النبى ﷺ » إسناده حسن .

(٦) (٦) إسناده صحيح : رواه أحمد فى مسنده ، وأبو داود والترمذى والحاكم وابن ماجه والبيهقى : وقال ابن حجر فى تلخيص الحبير فيه كامل أبو العلاء وهو مختلف فيه ، وقال صاحب =

وقد ورد الذكر بألفاظ عدة :

● اللهم [رب] إغفرلى ، وارحمنى ، [واجبرنى] ، [وارفعنى] ، واهدنى [وعافنى وارزقنى] » .

« اللهم اغفرلى وارحمنى ، واجبرنى واهدنى وارزقنى » عند الترمذى .

« اللهم اغفرلى وعافنى وارزقنى واهدنى » عند أبى داود .

« اللهم اغفرلى وارحمنى واجبرنى وارزقنى وارفعنى » عند ابن ماجة .

« اللهم اغفرلى واجبرنى وارحمنى وارفعنى ، وارزقنى واهدنى » عند الحاكم

هديه فى القيام والقعود فى صلاة الليل

قال شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية :

«كانت صلاته ﷺ بالليل ثلاثة أنواع :

أحدها : وهو أكثرها : صلاته قائماً .

الثانى : أنه كان يُصلى قاعداً ، ويركع قاعداً .

الثالث : أنه كان يقرأ قاعداً ، فإذا بقى يسير من قراءته ، قام فركع قائماً ، والأنواع الثلاثة صحت عنه »[1] ا . هـ .

وإليك الأحاديث فى ذلك :

عن عبد الله بن شقيق قال قلت لعائشة « هل كان النبى ﷺ يصلى وهو قاعد قالت نعم بعد ما حَطَمه الناس »[2] .

« المعنى : حطم فلاناً أهله إذ كبر فيهم ، كأنه لما حمله من أمورهم وأثقالهم والاعتناء بمصالحهم صيروه شيخاً محطوماً والحطم الشىء اليابس »[3] .

= تحفة الأحوذى إن لم يصح فهو حسن ، وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح انظر الحديث رقم (٣٥١٤) فى المسند .

(١) زاد المعاد طبع مؤسسة الرسالة ج ١ ص ٣٣١ ، ٣٣٢ .

(٢) حديث (٢) : رواه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين باب جواز النافلة قائماً وقاعداً .

(٣) صحيح مسلم ج ٢ شرح باب جواز النافلة ص ٢٨٥ .

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة أخبرته أن النبي ﷺ لم يمت حتى كان كثير من صلاته وهو جالس »[1] .

عن عروة عن عائشة قالت « لمّا بدّن رسول الله ﷺ وثَقُل كان أكثر صلاته جالسًا »[2] .

قال النووي : « قال القاضي عياض رحمه الله : قال أبو عبيد فى تفسير هذا الحديث : بدّن الرجل بفتح الدال المشددة تبدينا إذا أسنّ . قال أبو عبيد : ومن رواه (بدُن) بضم الدال المخففة فليس له معنى هنا ، لأن معناه كثر لحمه وهو خلاف صفته ﷺ ، يقال : بدن يبدن بدانة . وأنكر أبو عبيد الضم .

قال القاضي : روايتنا فى مسلم عن جمهورهم « بدُن » بالضم ، وعن العذرى بالتشديد وأراه إصلاحًا ، قال : ولا ينكر اللفظان فى حقه ﷺ فنى حديث عائشة فى مسلم : فلمّا أسنّ رسول الله ﷺ وأخذ اللحم أوتر بسبع ، وفى حديث آخر « ولحم » وفى آخر « أسنّ وكثر لحمه » وفى وصفه « بادن متماسك » هذا كلام القاضي ، والذى ضبطناه ووقع فى بلادنا التشديد والله أعلم » ا .هـ .

عن حفصة أنها قالت « ما رأيت رسول الله ﷺ صلّى فى سُبْحَتِهِ قاعدًا حتى كان قبل وفاته بعام ، فكان يصلى فى سبحته قاعدًا ، وكان يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها »[3] وفى رواية أخرى « بعام أو اثنين » .

---

(١) حديث (١) : رواه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين باب جواز النافلة قائمًا وقاعدًا ، وفى الشمائل للترمذى بسند صحيح .

(٢) حديث (٢) رواه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين باب جواز النافلة قائمًا وقاعدًا .

(٣) حديث رقم ٣) : رواه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين باب جواز النافلة قائمًا وقاعدًا ، والموطأ فى صلاة الجماعة باب ما جاء فى صلاة القاعد فى النافلة .

(فائدة) : فى الحديث (٣) فى مسلم : لطيفة فى الإسناد ففيه ثلاثة من الصحابة يروى بعضهم عن بعض : السائب بن يزيد عن المطلب بن وداعة عن حفصة رضى الله عنها » ا .هـ .

● عن جابر بن سَمُرة « أن النبي ﷺ لم يمت حتى صلىّ قاعدًا » وكان رسول الله ﷺ يصلى قاعدًا سواء مرض أم لم يمرض .

عن عبد الله بن أبي قيس قال : قالت عائشة « لا تدع قيام الليل فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه ، وكان إذا مرض أو كسل صلّى قاعداً »[1] .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما رأيت رسول الله ﷺ يقرأ فى شيء من صلاة الليل جالسًا حتى إذا كَبِرَ قرأ جالسًا حتى إذا بقى عليه من السورة ثلاثون أو أربعون آية قام فقرأهن ثم ركع »[2] .

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة أن رسول الله ﷺ «كان يصلى جالسًا فيقرأ وهو جالس ، فإذا بقى من قراءته قدر ما يكون ثلاثين أو أربعين آية قام فقرأ وهو قائم ثم ركع ثم سجد ثم يفعل فى الركعة الثانية مثل ذلك »[3] .

وزاد البخارى « فإذا قضى صلاته نظر فإن كنت يقظى تحدث معى ، وإن كنت نائمة أضطجع » .

عن عَمْرَة عن عائشة قالت : «كان رسول الله ﷺ يقرأ وهو قاعد ، فإذا أراد أن يركع قام قدر ما يقرأ الإنسان أربعين آية »[4] .

عن علقمة بن وقاص قال : قلت لعائشة : كيف كان يصنع رسول الله ﷺ فى الركعتين وهو جالس . قالت «كان يقرأ فيهما فإذا أراد أن يركع قام فركع »[5]

فوائد من الأحاديث :

● إباحة التطوع جالسًا وإن لم يكن بالمرء مرض وهو إجماع العلماء .

قال ابن حجر فى الفتح عن قول عائشة « من صلاة الليل ... حتى أسن وكبر .

---

(١) صحيح سبق تخريجه .

(٢) البخارى ومسلم واللفظ لمسلم كتاب صلاة المسافرين باب جواز النافلة قائمًا وقاعدًا .

(٣) البخارى ومسلم واللفظ لمسلم كتاب صلاة المسافرين باب جواز النافلة قائمًا وقاعدًا .

(٤) مسلم كتاب صلاة المسافرين باب جواز النافلة قائمًا وقاعدًا .

(٥) مسلم كتاب صلاة المسافرين باب جواز النافلة قائماً وقاعداً .

[قال ابن التين : قيدت عائشة ذلك بصلاة الليل لتخرج الفريضة .
و « حتى أسنّ » لتعلم أنه إنما فعل ذلك إبقاء على نفسه ليستديم الصلاة وأفادت أنه كان يديم القيام ، وأنه كان لا يجلس عما يطيقه من ذلك .

• جواز إيقاع بعض الصلاة قاعداً ، وبعضها قائماً فى صلاة الليل ، وجواز القعود فى أثناء صلاة النافلة لمن افتتحها قائماً ، كما يباح له أن يفتتحها قاعداً ثم يقوم إذ لا فرق بين الحالتين .

• قولها (فإذا بقى من قراءته) ، قال الحافظ ابن حجر « فيه إشارة إلى أن الذى كان يقرؤه قبل أن يقوم أكثر ، لأن البقية تطلق فى الغالب على الأقل وفى هذا الحديث أنه لا يشترط لمن افتتح النافلة قاعداً أن يركع قاعداً ، أو قائماً أن يركع قائماً »[1] .

• وفى الحديث كما قال النووى « دليل على استحباب تطويل القيام فى النافلة ، وأنه أفضل من تكثير الركعات فى ذلك الزمان »[2] وهو مذهب الشافعى .

عن عبد الله بن شقيق عن عائشة قالت : «كان رسول الله ﷺ يصلى ليلا طويلاً ، فإذا صلّى قائماً ركع قائماً ، وإذا صلى قاعداً ركع قاعداً » وفى لفظ آخر « يصلى ليلاً طويلاً قائماً » .

• عن عبد الله بن شقيق قال : سألت عائشة عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل فقالت : «كان يصلى ليلاً طويلاً قائماً ، وليلاً طويلاً قاعداً ، وكان إذا قرأ قائماً ، ركع قائماً ، وإذا قرأ قاعداً ركع قاعداً »[3] .
وفى لفظ آخر .

• عن عبد الله بن شقيق قال : سألنا عائشة عن صلاة رسول الله ﷺ

---

(١) البخارى كتاب تقصير الصلاة شرح باب إذا صلى قاعداً ثم صح من فتح البارى .
(٢) شرح النووى لمسلم ج ٢ ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ .
(٣) مسلم واللفظ له باب جواز الصلاة قائماً وقاعداً .

فقالت : -

«كان رسول الله ﷺ يكثر الصلاة قائماً وقاعداً ، فإذا افتتح الصلاة قائماً ركع قائماً ، وإذا افتتح الصلاة قاعداً ركع قاعداً»

● قال ابن خزيمة فى صحيحه :

« قد أنكر هشام بن عروة خبر عبد الله بن شقيق : إذ ظاهره كان عنده خلاف خبره عن أبيه عن عائشة ، وهو عندى غير مخالف لخبره ، لأن فى رواية خالد عن عبد الله بن شقيق عن عائشة « فإذا قرأ وهو قائم ركع وسجد وهو قائم ، وإذا قرأ وهو قاعد ركع وسجد وهو قاعد » ، فعلى هذه اللفظة هذا الخبر ليس بخلاف خبر عروة وعمرة عن عائشة ، لأن هذه اللفظة التى ذكرها خالد دالة على أنه كان إذا كان جميع القراءة قاعداً ركع قاعداً ، وإذا كان جميع القراءة قائماً ركع قائماً ، ولم يذكر عبد الله بن شقيق صفة صلاته إذا كان بعض القراءة قائماً وبعضها قاعداً ؟ وإنما ذكره عروة وأبو سلمة وعمرة عن عائشة إذا كانت القراءة فى الحالتين جميعاً بعضها قائماً وبعضها قاعداً ؟ فذكر أنه كان يركع وهو قائم إذا كانت قراءته فى الحالتين كلتيهما »[1] .

ثم تكلم الحافظ ابن خزيمة عن الحديث الأخير فقال : « هذا الخبر يبين هذه الأخبار كلها ، فعلى هذا الخبر إذا افتتح الصلاة قائماً ثم قعد وقرأ انبغى له أن يقوم فيقرأ بعض قراءته ثم يركع وهو قائم ، فإذا افتتح صلاته قاعداً قرأ جميع قراءته وهو قاعد ، ثم ركع وهو قاعد اتباعاً لفعل النبى ﷺ » ا . هـ .

قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى تعليقه على حديث عروة عن عائشة :

« فيه رد على من اشترط على من افتتح الصلاة النافلة قاعداً أن يركع قاعداً أو قائماً أن يركع قائماً ، وهو محكى عن أشهب وبعض الحنفية والحجة فيه حديث عبد الله بن شقيق عن عائشة .

وحديث عبد الله بن شقيق صحيح ، ولكن لايلزم منه منع ماروا‌ه عروة

(١) صحيح ابن خزيمة ج ١ ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .

عنها فيجمع بينهما بأنه كان يفعل كُلاً من ذلك بحسب النشاط وعدمه والله أعلم »[1] ا . هـ .

كيفية جلوسه إذا صلى قاعدا :

عن عائشة رضى الله عنها قالت :

« رأيت رسول الله ﷺ يصلي متربعاً »[2] .

خاصية لرسول الله ﷺ فى القيام والقعود ليلاً

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال :

« حُدِّثت أن رسول الله ﷺ قال : صلاة الرجل قاعدًا نصف الصلاة قال فأتيته فوجدته يصلى جالسًا ، فوضعت يدى على رأسه ، فقال : « مالك يا عبد الله بن عمرو قلت : حُدِّثت يا رسول الله أنك قلت صلاة الرجل قاعدًا على نصف الصلاة وأنت تصلى قاعداً ، قال : « **أجل ، ولكنى لست كأحد منكم** »[3] .

---

(١) فتح البارى ج ٣ كتاب التهجد شرح قيام النبى ﷺ فى رمضان وغيره .

(٢) حديث رقم (٢) : إسناده صحيح .

قال الحافظ ابن حجر فى تلخيص الحبير : [رواه النسائى والدارقطنى وابن حبان ، والحاكم من حديث عائشة ، قال النسائى : « ما أعلم أحداً رواه غير أبى داود الحفرى [وهو ثقة] ولا أحسبه إلا أخطأ » . وقد رواه ابن خزيمة والبيهقى من طريق محمد بن سعيد الأصبهانى بمتابعة أبى داود فظهر أنه لا خطأ فيه ؟ وروى البيهقى من طريق ابن عيينة عن ابن عجلان عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه : رأيت النبى ﷺ يدعو هكذا ؟ ووضع يديه على ركبتيه وهو متربع جالس ، ورواه البيهقى عن حميد : رأيت أنساً يصلى متربعاً على فراشه ؟ وعلقه البخارى] ا . هـ . كلام الحافظ ولقد نحا الحافظ محمد بن نصر المروزى منحى النسائى وذهب فى « قيام الليل » إلى خطأ الراوى .

وقال الألبانى : « إسناده صحيح كما قال الحاكم والذهبى ، تخطئة الثقة بالظن لا يجوز » إ انظر تحقيق صحيح ابن خزيمة ج ١ حديث رقم (١٢٣٨) ، وقال الألبانى فى «صفة صلاة النبى ﷺ » : رواه عبد الغنى المقدسى فى « السنن » وابن خزيمة والحاكم وصححه ووافقه الذهبى .

(٣) حديث رقم (٣) : رواه مسلم باب جواز النافلة قائماً وقاعداً .

قال النووى : [هو من خصائص النبى ﷺ فجعلت نافلته قاعداً مع القدرة على القيام كنافلته قائماً تشريفاً له كما خصّ بأشياء معروفة .

وقال القاضى عياض : « معناه أن النبى ﷺ لحقه مشقة من القيام لحطم الناس وللسن ، فكان أجره تاماً بخلاف غيره ممن لا عذر له » . هذا كلامه وهو ضعيف باطل ، لأن غيره ﷺ إن كان معذوراً لثوابه أيضاً كامل ، وإن كان قادراً على القيام فليس هو كالمعذور فلا يبقى فيه تخصيص فلا يحسن على هذا التقدير « لست كأحد منكم » وإطلاق هذا القول ، فالصواب ما قاله أصحابنا أن نافلته ﷺ قاعدًا مع القدرة على القيام ثوابها كثوابها قائمًا وهو من الخصائص والله أعلم »] [1] ا . هـ . كلام النووى .

هديه فى القيام عند مرضه

مر بك أنه ﷺ قرأ وهو وجع بالسبع الطوال فى ليلة ، وذلك من اجتهاده ﷺ فى العبادة وحرصه على قيام الليل ، ومرت بك أحاديث صلاته قاعداً . وكان ﷺ إذا مرض صلى قاعداً وأحياناً يترك القيام .

عن عبد الله بن أبى موسى قال قالت لى عائشة : « لا تدع قيام الليل فإن رسول الله ﷺ كان لا يذره ، وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعداً » [2] .

عن عائشة زوج النبى ﷺ قالت : « عليكم بقيام الليل ، فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه ، فإن مرض قرأ وهو قاعد ، وقد عرفت أن أحدكم يقول

---

(١) انظر شرح صحيح مسلم للنووى ج ٢ ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

(٢) حديث رقم (٢) إسناده صحيح : رواه ابن خزيمة فى صحيحه كتاب « أبواب صلاة التطوع بالليل . باب استحباب صلاة الليل قاعداً إذا مرض المرء أوكسل » . وقال الألبانى إسناده صحيح على شرط مسلم ، ورواه أبو داود .

بحسبي أن أقيم ما كتب لى ، وأنّى له ذلك »[1]

قال الشيخ الساعاتى فى الفتح الربانى :

« فيه الحث على قيام الليل والاهتمام به ، والاقتداء برسول الله ﷺ فيه ، حيث لم يتركه مطلقاً[2] حتى إن كان مريضاً أداه قاعداً ؟ فهذا رسول الله وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لم يترك قيام الليل ونحن مع ارتكابنا للذنوب وتقصيرنا فى الأعمال نتقاعد عن فعله ، مع إننا لو صمنا النهار وقمنا الليل جميعه لم نبلغ عُشر معشار ما بلغه ﷺ من الدرجة والفضل ، وأنى لنا ذلك ؟ فيجدر بنا أن نسارع فنستبق إلى قيام الليل ، لأننا أحوج إلى رحمة الله تعالى ومغفرته »[3] .

● وأحياناً كان يترك قيام الليل لوجعه أو مرضه .

عن جندب بن سفيان قال « اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثة فجاءته امرأته ، فقالت يا محمد ، إنى لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ، ولم أره قَرِبَكَ منذ ليلتين أو ثلاثة قال فأنزل الله عز وجل ﴿ **والضحى والليل إذا سجى ، ما ودعك ربك وما قلى**﴾[4] .

ولقد بوّب البخارى رحمه الله فى تركه ﷺ للقيام فقال فى كتاب التهجد « باب ترك القيام للمريض . » وهناك دليل آخر على تركه ﷺ أحياناً أثناء مرضه سنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .

---

(١) حديث رقم (١) : أخرجه أحمد فى مسنده وهو طرف من حديث طويل

(٢) سيأتى الرد على ذلك .

(٣) الفتح الربانى ج ٤ ص ٢٣٧

(٤) حديث رقم (ع) أخرجه البخارى ومسلم والنسائى واللفظ لمسلم كتاب الجهاد باب « مالقى النبى ﷺ من أذى المشركين والمنافقين » ج ٤ ص ٤٤٠ ، وذكره البخارى فى صحيحه فى فضائل القرآن وذكره مختصراً فى « التهجد » .

« هديه فى القيام فى السفر »

ما كان رسول الله ﷺ ليترك قيام الليل فى السفر.

عن حميد بن عبد الرحمن قال : إن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ قال : قلت وأنا فى سفر مع رسول الله ﷺ والله لأرقبنَّ رسول الله ﷺ للصلاة حتى أرى فعله ، فلما صلَّى صلاة العشاء وهى العتمة اضطجع هَوِيًّا من الليل ، ثم استيقظ فنظر فى الأفق فقال : ﴿ **ربنا ما خلقت هذا باطلاً حتى بلغ إلى .. إنك لا تخلف الميعاد** ﴾ ثم أهوى رسول الله ﷺ إلى فراشه فاستل منه سواكاً ، ثم أفرغ فى قدح من إداوة عنده ماء فاستَنّ ثم قام فصلى حتى قلتُ قد صلى قدر ما نام ، ثم اضطجع حتى قلت قد نام قدر ما صلى ، ثم استيقظ ففعل كما فعل أول مرة ، وقال مثل ما قال ، ففعل رسول الله ﷺ ثلاث مرات قبل الفجر »[1] .

حديث ثوبان « إن هذا السفر جهد » ...

عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن أباه أخبره أنه رأى النبى ﷺ صلى السُبحَةَ بالليل فى السفر على ظهر راحلته حيث توجهت به »[2] .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : « رأيت رسول الله ﷺ إذا أعجله السير فى السفر يؤخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء ، قال سالم : وكان عبد الله يفعله إذا أعجله السير ، ويقيم المغرب فيصليها ثلاثاً ثم يسلم ، ثم قلَّما يلبث حتى يقيم العشاء فيُصليها ركعتين ثم يسلم ، ولا يسبح بينهما بركعة ، ولا بعد العشاء بسجدة حتى يقوم من جوف الليل »[3] .

---

(١) حديث رقم (١) : إسناده صحيح : رواه النسائى فى سننه وقال الألبانى إسناده صحيح على شرط مسلم أنظر حديث رقم (١٢٠٩) مشكاة المصابيح ، وقال عبد القادر الأرناؤوط ، إسناده حسن .

(٢) حديث رقم (٢) : رواه البخارى فى الوتر فى السفر ومسلم فى صلاة المسافرين باب جواز النافلة على الدابة فى السفر . وأحمد فى مسنده .

(٣) حديث رقم (٣) البخارى ـ تقصير الصلاة باب هل يؤذن أو يقيم .

قال سالم : كان عبد الله يصلى من دابته من الليل وهو مسافر ما يبالى حيثما كان وجهه . قال ابن عمر : وكان رسول الله ﷺ يسبح على الراحلة قِبَل أى وجهٍ توجه ، ويوتر عليها ، غير أنه لايصلى عليها المكتوبة »[1] . ومن هذه نرى ان رسول الله ﷺ كان يتهجد ويصلى الليل فى السفر ، ونفى التطوع فى السفر ليس محمولاً على الوتر أو صلاة الليل ، وأنه ﷺ كان يتطوع على الدابة .

قال الشافعي : ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يتنفل ليلاً وهو يقصر .

قال الإمام ابن القيم فى زاد المعاد : ج ١ ص ٤٧٥ : «كان من هديه ﷺ التطوع على راحلته حيث توجهت به ، وكان يومئ إيماءً برأسه فى ركوعه وسجوده ، وسجوده أخفض من ركوعه »[2] .

عن أنس « أن النبى ﷺ «كان إذا أراد أن يتطوع فى السفر استقبل بناقته القبلة ثم صلى حيث وجهت ركابه »[3] .

ولقد استحب ذلك أحمد وأبو ثور .

« وفى هذا الحديث نظر ، وسائر من وصف صلاته ﷺ على راحلته أطلقوا أنه كان يصلى عليها قِبَل أى جهة توجهت به ، ولم يستثنوا من ذلك تكبيرة الإحرام ولا غيرها ، كعامر بن ربيعة ، وعبد الله بن عمر ، وجابر بن عبد الله ، وأحاديثهم أصح من حديث أنس هذا والله أعلم . وصلى على الراحلة وعلى الحمار »[4] .

---

(١) حديث رقم (١) ، البخارى ـ تقصير الصلاة . باب ينزل للمكتوبة .

(٢) انظر ابن خزيمة حديث رقم ١٢٧٠ وانظر حديث رقم (١٣٤٦) مشكاة المصابيح

(٣) حديث رقم (١٤٤) : صحيح : رواه أحمد فى المسند ٢٠٣/٢ ، وأبو داود فى الصلاة باب التطوع على الراحلة والوتر ورواه ابن حبان فى «كتاب الثقات» والضياء فى «المختارة» والدارقطنى . وصححه غير واحد كما قال عبد القادر الأرناؤوط . صححه ابن السكن ، وابن الملقن وحسنه المنذرى وصححه الشيخ الألبانى فى المشكاة (١٣٤٥)

(٤) مسلم ـ باب جواز صلاة النافلة على الدابة

عن ابن عمر قال «كان النبي ﷺ يصلى فى السفر على راحلته حيث توجهت به ، يومئ إيماء صلاة الليل إلا الفرائض ، ويوتر على راحلته »[1] وعلى هديه سار أصحابه ﷺ من بعده ومن بعدهم من التابعين عن مجاهد قال : سافرت مع عبد الله بن عمر من مكة .

● عن عثمان بن عبد الله بن سراقة أنه رأى حفص بن عاصم يسبح فى السفر ومعهم فى ذلك السفر عبد الله بن عمر ، فقيل إن خالك ينهى عن هذا ، فسألت ابن عمر ، عن ذلك فقال رأيت رسول الله لا يصنع ذلك ، لا يصلى قبل الصلاة ولا بعدها ، قلت : أصلى بالليل؟ فقال : صلّ بالليل ما بدا لك »[2] .

عن جابر قال : رأيت النبي ﷺ وهو على راحلته يصلى النوافل فى كل وجه ، ولكنه يخفض السجدتين من الركعتين ويومئ إيماء .[3] .

نومه فى السحر

عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما ألفى رسول الله ﷺ السحر الأعلى فى بيتى أو عندى إلا نائماً[4]

وعند الإسماعيلى « ما ألفى النبي ﷺ عندى بالأسحار إلا وهو نائم » ولم يذكر البخارى لفظ الأعلى .

ألفاه : أى وجده.

---

(١) حديث رقم (١) متفق عليه ، رواه البخارى فى الوتر باب الوتر فى السفر ، وباب الوتر على الدابة وكذا أخرجه النسائى فى القبلة ، باب الحال التي يجوز عليها استقبال غير القبلة =

(٢) حديث رقم (٢) : رواه ابن خزيمة فى صحيحه .. جماع أبواب صلاة التطوع فى السفر حديث رقم (١٢٥٦) وقال الالبانى إسناده صحيح .

(٣) رواه ابن خزيمة فى صحيحه ج ١ حديث رقم ١٢٧٠ ، وأخرجه أبو داود ومسلم والترمذى والنسائى وقال الألبانى إسناده صحيح

(٤) رواه البخارى ومسلم واللفظ له وأبو داود والنسائى ـ البخارى كتاب التهجد باب من نام السحر ، ومسلم كتاب صلاة المسافرين باب عدد ركعات النبي ﷺ .

قال الحافظ ابن حجر : « المراد نومه بعد القيام الذى مبدؤه عند سماع الصارخ جمعاً بينه وبين رواية مسروق التى قبلها » ا . هـ.

وقال أيضاً الحافظ ابن حجر :

[قال ابن التين : « قولها » إلاّ نائمًا تعنى مضطجعًا على جنبه لأنها قالت فى حديث آخر « فإن كنت يقظانة حدثنى وإلا اضطجع » وتعقبه ابن رشيد بأنه لا ضرورة لحمل هذا التأويل لأن السياق ظاهر فى النوم حقيقة وظاهر فى المداومة على ذلك ، ولاَ يلزم من أنه ربما لم ينم وقت السحر هذا التأويل ، فدار الأمر بين حمل النوم على مجاز التشبيه ، أو حمل التعميم على إرادة التخصيص ، والثانى أرجح وإليه مال البخارى لأنه ترجم بقوله « من نام عند السحر » ثم ترجم عقبه بقوله « من تسحر فلم ينم » .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه « أن نبى الله ﷺ وزيد بن ثابت رضى الله عنه تسحرا ، فلما فرغا من سَحورهما قام نبى الله ﷺ إلى الصلاة فصلى . قلنا لأنس : كم كان بين فراغهما من سحورهما ودخولهما فى الصلاة ؟ قال : كقدر ما يقرأ الرجل خمسين آية » .

فأومأ إلى تخصيص رمضان من غيره ، فكأن العادة جرت فى جميع السنة أنه كان ينام عند السحر إلا فى رمضان فإنه كان يتشاغل بالسحور فى آخر الليل ، ثم يخرج إلى الصلاة عقبه .

وقال ابن بطال : النوم وقت السحر كان يفعله النبى ﷺ فى الليالى الطوال وفى غير شهر رمضان ،كذا قال ، ويحتاج فى إخراج الليالى القصار إلى دليل] (1) انتهى كلام الحافظ

ونوم السحر هو هدى نبى الله داود عليه السلام ففى الحديث ... و « ينام سدسه » وذلك كما قال الحافظ أرفق للبدن « لأنه يستدرك بالنوم ما يستريح به

---

(1) فتح البارى شرح باب من نام السحر ج ٣ ص ١٨ وأحمد فى مسنده .

من نصب القيام فى بقية الليل ، ويريح البدن ، ويذهب ضرر السهر وذبول الجسم ، بخلاف السهر إلى الصباح وفيه من المصلحة استقبال صلاة الصبح وأذكار النهار بنشاط وإقبال ، وأنه أقرب إلى عدم الرياء لأن من نام السدس الأخير أصبح ظاهر اللون سليم القوى فهو أقرب إلى أن يخفى عمله على من يراه وأشار إلى ذلك ابن دقيق العيد ا . هـ .

خاصية لرسول الله ﷺ فى نومه :

عن عائشة قالت : «كان رسول الله ﷺ ينام حتى ينفخ ثم يقوم فيصلى ولا يتوضأ »[1] .

عن أنس أن النبى ﷺ «كان تنام عيناه ولا ينام قلبه »[2] .

عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ « نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضأ »[3] .

وفى حديث له ﷺ :

« يا عائشة إن عينىّ تنامان ولا ينام قلبى »[4] .

قال النووى : « هذا من خصائص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ومر فى حديث نومه ﷺ فى الوادى ، فلم يعلم بفوات وقت الصبح حتى طلعت الشمس ، وأن طلوع الفجر والشمس متعلق بالعين لا بالقلب ، وأما أمر الحدث

---

(١) صحيح : رواه ابن ماجة كتاب الطهارة وسننها باب الوضوء من النوم واللفظ له ، وصححه السيوطى . وقال المناوى سنده صحيح ، وقال مغلطاى : على شرط الشيخين ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٨٩٣) .

(٢) حديث رقم (١) صحيح : رواه الحاكم عن أنس وأحمد فى مسنده عن ابن عباس . وقال الحاكم : على شرط مسلم ورده الذهبى بأن يعقوب بن محمد الزهرى ضعيف ولم يرو له مسلم ، وصححه السيوطى والألبانى انظر فيض القديرج ٥ ص ١٦٩ وصحيح الجامع رقم (٤٦٨٢) .

(٣) حديث رقم (٣) : إسناده صحيح : رواه أحمد فى مسنده وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح انظر المسند رقم (٣١٩٤) .

(٤) رواه البخارى ومسلم عن عائشة وكذا مالك، وأحمد وأبو داود والطحاوى .

ونحوه فمتعلق بالقلب ، وأنه قيل إنه فى وقت ينام قلبه . وفى وقت لا ينام فصادف الوادى نومه ، والصواب الأول »[1] ا . هـ .

● وفى حديث نوم ابن عباس عند خالته ميمونة قول ابن عباس « فنام حتى نفخ ثم أتاه بلال فآذنه بالصلاة فخرج فصلى الصبح ولم يتوضأ » .

صلاته ﷺ على فراشه وزوجه معترضة بين يديه :

عن عائشة زوج النبى ﷺ أنها قالت : «كنت أنام بين يدى رسول الله ﷺ ورجلاى فى قبلته ، فإذا سجد غمزنى فقبضت رجلى ، فإذا قام بسطتهما ، قالت : والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح »[2] .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « لقد كان رسول الله ﷺ يقوم فيصلى من الليل ، وإنى لمعترضة بينه وبين القبلة على فراش أهله »[3] .

● عن عروة أن النبى ﷺ كان يصلى وعائشة معترضة بينه وبين القبلة على الفراش الذى ينامان عليه .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله جُعلت قرة عينك فى الصلاة فلم يشغلك عنها شىء من متاع الدنيا .

فعن عائشة قالت : « لقد رأيتنى مضطجعة على السرير فيجىء النبى ﷺ فيتوسط السرير فيصلى فأكره أن أسنحه[4] فأنسل من قبل رجلى السرير حتى أنسل من لحافى والمراد أنه كان يصلى إلى السرير ، أى أسفل منه والسرير بينه وبين القبلة » .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ٣٩١ ، ٣٩٢ .

(٢ ، ٣) حديث رقم (٢ ، ٣) : رواه البخارى كتاب الصلاة ج ١ باب الصلاة على الفراش ، باب الصلاة خلف النائم ، باب الصلاة خلف المرأة ، باب الصلاة إلى السرير .

(٤) أن أظهر له من قدامه .

صلاته القيام جماعة أحيانا

وذلك ثابت فى هديه ، وقيام بعض أصحابه معه مثل ابن عباس وحذيفة وعبد الله بن مسعود وهذا من باب التعاون على البر والتقوى ، ولقد حث الرجل على قيام الليل مع أهله ودعا بالرحمة لهما وأخبر أنهما إن صليا كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات .

عن ابن عباس « أن النبى ﷺ قام من الليل يصلى ، فقمت فتوضأت فقمت عن يساره ، فجذبنى فجرنى فأقامنى عن يمينه فصلى ثلاث عشرة ركعة قيامه فيهن سواء »[1].

[وسأل ابن جريج عطاءً : أيصلى القوم بصلاة الرجل فى التطوع فإن ابن عباس قد صلى إلى جنب النبى ﷺ متطوعاً ؟ قال : أجل .

قال محمد بن نصر : وكره أصحاب الرأى أن يصلى التطوع فى جماعة ما خلا قيام رمضان ، وصلاة كسوف الشمس ، وذلك خلاف السنة ، فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه صلى التطوع جماعة فى غير شهر رمضان ليلاً ونهاراً وفعل ذلك جماعة من أصحابه من بعده .

● عن هشام بن عروة : رأيت عبد الله بن الزبير يؤمهم فى المسجد الحرام بالنوافل ووراءه شيوخ من أهل الفقه والصلاح يرون أن ذلك حسن .

● قال هشام : إن الإمام كان يؤمهم فى المكتوبة ثم يدخل الدار فيسبح[2] ويسبحون بصلاته وهو يؤمهم وكان عروة يفعل ذلك ويراه حسناً .

قال محمد بن نصر : وفى الباب أحاديث كثيرة .. وسئل مالك عن الرجل يؤم الرجل فى النافلة قال ما أرى بذلك بأساً » اهـ . [3] .

---

(١) حديث رقم (١) : إسناده صحيح : رواه أحمد فى مسنده وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح ، انظر المسند حديث رقم (٢٢٧٦) .

(٢) أى يصلى .

(٣) مختصر قيام الليل للسمرقندى ص ٩١ ، ٩٢ .

● ولقد بوب الإمام البخاري في التهجد فقال « باب صلاة النوافل جماعة . ثم أورد أحاديث قال الحافظ ابن حجر بعدها : « وفي الحديث فوائد كثيرة ، فيه ماترجم له هنا وهو صلاة النوافل جماعة . وروى وهب عن مالك : أنه لا بأس أن يؤم النفر في النافلة ، فأما أن يكون مشتهراً ويجمع له الناس فلا][1] ا . هـ .

صلاته بعد العشاء ركعات أحيانا :

وأحياناً كان ﷺ يصلي ركعات بعد العشاء قبل نومه فقد ثبت « أن النبي ﷺ كان إذا صلى العشاء ورجع إلى بيته صلى أربع ركعات »[2] .

عن عائشة قالت « ما صلى رسول الله ﷺ العشاء قط فدخل عليّ إلاّ صلّى أربع ركعات أو ست ركعات ، ولقد مطرنا مرة بالليل فطرحنا له نطعاً فكأني أنظر إلى ثقب فيه ينبع الماء منه ، وما رأيته متقياً الأرض بشيء من ثيابه قط »[3] قال صاحب عون المعبود : [قال القاري : « وقال الزرقاني في شرح المواهب : قالت عائشة : ما صلىّ رسول الله ﷺ العشاء قط فدخل بيتي إلا صلى أربع ركعات » أي تارة ، أو ست ركعات أي أخرى فليست أو للشك ، وفي مسلم : قالت « ثم يصلي بالناس العشاء ويدخل بيتي فيصلي ركعتين » ، وكذا في حديث ابن عمر عند الشيخين . ومفاد الأحاديث أنه كان بحسب ما تيسر له ركعتين أو أربعاً أو ستًّا إذا دخل بيته بعد العشاء »][4] ا . هـ .

---

(١) فتح الباري ج ٣ ص ٦٢ .

(٢) قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ج ١ ص ٢٢٤ حديث رقم (٥٨٩) : حديث صحيح : ثبت ذلك من حديث ابن عباس وغيره في صحيح البخاري وغيره وهو مخرج في صحيح أبي داود ١٢١٦ - ١٢١٨ - ١٢٤٨ .

(٣) رواه أبو داود حديث رقم ١٢٨٩ وأشار الألباني إلى صحته .

(٤) عون المعبود ج ٤ ص ١٨٦ شرح حديث ١٢٨٩ .

صلاته لركعتين بعد الوتر وهو جالس :

عن أبى سلمة قال : سألت عائشة عن صلاة رسول الله ﷺ فقالت : «كان يصلى ثلاث عشرة ركعة يصلى ثمان ركعات ، ثم يوتر ثم يصلى ركعتين وهو جالس فإذا أراد أن يركع قام فركع ثم يصلى ركعتين بين النداء والإقامة من صلاة الصبح »[1] .

وفى جزء من حديث لها عند مسلم : «كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضأ ويصلى تسع ركعات لا يجلس فيها إلا فى الثامنة فيذكر الله ويحمده ويدعوه ، ثم ينهض ولا يسلم ثم يقوم فيصلى التاسعة ثم يقعد فيذكر الله ويحمده ويدعوه ثم يسلم تسليماً يسمعنا ثم يصلى ركعتين بعد ما يسلم وهو قاعد « فتلك إحدى عشرة ركعة يا بنى ، فلمّا أسنَّ نبى الله ﷺ وأخذ اللحم أوتر بسبع ، وصنع فى الركعتين مثل صنيعه الأول فتلك تسع يا بنىّ » .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يوتر بواحدة ، ثم يركع ركعتين يقرأ فيهما وهو جالس ، فإذا أراد أن يركع قام فركع »[2] .

عن ابن عباس رضى الله عنه قال : زرت خالتى ميمونة فوافقت ليلة النبى ﷺ فقام رسول الله ﷺ بسحر طويل ، فأسبغ الوضوء ، ثم قام يصلى فقمت فتوضأت ثم جئت إلى جنبه ، فلما علم أنى أريد الصلاة معه أخذ بيدى فحوّلنى عن يمينه ، فأوتر بتسع أو سبع ، ثم صلى ركعتين ، ووضع جنبه حتى سمعت

---

(١) حديث رقم (١) رواه مسلم - كتاب صلاة المسافرين باب صلاة الليل والوتر . وكذا رواه أبو داود والنسائى وابن خزيمة .

(٢) حديث رقم (٢) إسناده صحيح : رواه ابن ماجة فى سننه - كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء فى الركعتين بعد الوتر جالساً وقال فى زوائد ابن ماجة «إسناده صحيح ورجاله ثقات

ضفيزه[1] ثم أقيمت الصلاة فانطلق فصلى »[2] .

قال الإمام ابن خزيمة : « هاتان الركعتان اللتان ذكرهما ابن عباس فى هذا الخبر يحتمل أن يكون أراد الركعتين اللتين كان النبى ﷺ يصليهما بعد الوتر كما أخبرت عائشة ، ويحتمل أن يكون أراد بهما ركعتى الفجر اللتين كان يصليهما قبل صلاة الفريضة »[3] ثم قال رحمه الله بعد هذا الكلام ببابين : « باب ذكر الدليل على أن الصلاة بعد الوتر مباحة لجميع من يريد الصلاة بعده ، وأن الركعتين اللتين كان النبى ﷺ يصليهما بعد الوتر لم يكونا خاصة للنبى ﷺ دون أمته ، إذ أنه ﷺ قد أمرنا بالركعتين بعد الوتر أمر ندب وفضيلة لا أمر إيجاب وفريضة »[3] ثم ذكر الحديث الآتى :

عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فقال : « **إن هذا السفر جهد وثقل ، فإذا أوتر أحدكم فليركع ركعتين خفيفتين فإن استيقظ وإلا كانتا له** »[4] .

قال الألبانى بعد ذكره لكلام ابن خزيمة تعليقًا على حديث ثوبان :

[وهذه فائدة هامة استفدناها من هذا الحديث ، وقد كنا من قبل مترددين فى التوفيق بين صلاته ﷺ الركعتين وبين قوله « **اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترًا** » وقلنا فى التعليق على صفة الصلاة : « والأحوط تركها اتباعًا للأمر والله

---

(١) ضفيزه : أى غطيطه كما جاء فى « لسان العرب » .

(٢) إسناده صحيح : رواه ابن خزيمة فى صحيحه - أبواب ذكر الوتر - باب الرخصة فى الصلاة بعد الوتر ، وقال الدكتور مصطفى الأعظمى : إسناده صحيح انظر حديث رقم (١١٠٣) صحيح ابن خزيمة

(٣) صحيح ابن خزيمة ج ٢ ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

(٤) إسناده صحيح : رواه ابن خزيمة فى صحيحه ، والدارقطنى وابن حبان والدارمى : وفيه : إن هذا السهر جهد وقال الهيثمى فى الزوائد (٢/٢٤٦) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث وفيه مقال « انظر موارد الظمآن » حديث ٦٨٣ ، وصححه الألبانى فى الصحيحة رقم ١٩٩٣ وقال مصطفى الأعظمى : إسناده صحيح لغيره .

أعلم » . وقد تبين لنا من هذا الحديث أن الركعتين بعد الوتر ليستا من خصوصياته ﷺ ، لأمره ﷺ بهما أمته أمراً عاماً ، فكأن المقصود بالأمر بجعل آخر صلاة الليل وترًا أن لا يهمل الإيتار بركعة فلا ينافيه صلاة ركعتين بعدهما لما ثبت من فعله وأمره والله أعلم][1] ا . هـ . كلام الشيخ الألباني حفظه الله .

• عن ابن عباس عن النبي ﷺ « أنه قام من الليل فاستنَّ ، ثم صلى ركعتين ، ثم نام ، ثم قام فاستنَّ وتوضأ وصلى ركعتين حتى صلى ستًّا ثم أوتر بثلاث وصلى ركعتين »[2] .

• عن أبي أمامة « أن النبي ﷺ « كان يصليهما بعد الوتر وهو جالس ، يقرأ فيهما ﴿ إذا زلزلت الأرض ﴾ و ﴿ قل ياأيها الكافرون ﴾ »[3] .

وعند ابن نصر في قيام الليل عن أبي أمامة قال : « كان رسول الله ﷺ يوتر بتسع ، حتى إذا بدُن وكثر لحمه أوتر بسبع وصلى ركعتين وهو جالس يقرأ فيهما ﴿ إذا زلزلت ﴾ و ﴿ قل ياأيها الكافرون ﴾ .

• قال النووي في شرحه لصحيح مسلم عند شرحه لحديث « ثم يصلى ركعتين وهو جالس ـ » الحديث :ـ

[هذا الحديث أخذ بظاهره الأوزاعي وأحمد فيما حكاه القاضي عنهما ، فأباحا ركعتين بعد الوتر جالساً ، وقال أحمد : لا أفعله ولا أمنع من فعله . قال : وأنكره مالك . قلت : والصواب أن هاتين الركعتين فعلهما ﷺ بعد الوتر جالساً لبيان جواز الصلاة بعد الوتر ، وبيان جواز النفل جالساً ، ولم يواظب على

---

(١) السلسلة الصحيحة ج ٤ ص ٦٤٧

(٢) إسناده صحيح : رواه أحمد في مسنده وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح انظر حديث رقم (٣٢٧١) نحوه .

(٣) حديث رقم (٣) : إسناده حسن : رواه أحمد في مسنده (٥/٢٦٠) والبيهقي وابن نصر بسند حسن كما قاله الألباني في صفة صلاة النبي ﷺ ، وعبد القادر الأرناؤوط في التعليق على ج ٤ من شرح السنة ص ٩٤ وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير وأحمد ورجال أحمد ثقات .

ذلك ، بل فعله مرة أو مرتين أو مرات قليلة ، ولا تغتر بقولها « كان يصلى » فإن المختار الذى عليه الأكثرون والمحققون من الأصوليين أن لفظة (كان) لا يلزم منها الدوام ولا التكرار وإنما هى فعل ماض يدل على وقوعه مرة ، فإن دل دليل على التكرار عمل به ، وإلاّ فلا تقتضيه بوضعها . وإنما تأولنا حديث الركعتين جالسًا ، لأن الروايات المشهورة فى الصحيحين وغيرهما عن عائشة مع روايات خلائق من الصحابة فى الصحيحين مصرحة بأن آخر صلاته ﷺ فى الليل كان وترا فكيف يظن به ﷺ مع هذه الأحاديث وأشباهها أنه يداوم على ركعتين بعد الوتر ويجعلها آخر صلاة الليل ؟ . وإنما معناه ما قدمناه من بيان الجواز وهذا الجواب هو الصواب ، وأما ما أشار إليه القاضى عياض من ترجيح الأحاديث المشهورة ، ورد رواية الركعتين جالسًا فليس بصواب ، لأن الأحاديث إذا صحت وأمكن الجمع بينها تعين ، وقد جمعنا بينها ولله الحمد] [1] ا . هـ .كلام النووى .

● وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح « اختلف السلف فى مشروعية ركعتين بعد الوتر عن جلوس » ثم ساق حديث عائشة وقال : « وقد ذهب إليه بعض أهل العلم وجعلوا الأمر فى قوله « **اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا** » مختصا بمن أوتر آخر الليل ، وأجاب من لم يقل بذلك بأن الركعتين المذكورتين هما ركعتا الفجر ، وحمله النووى على أنه ﷺ فعله لبيان جواز النفل بعد الوتر وجواز التنفل جالسا » [2] ا . هـ .

قال الإمام الحافظ ابن القيم :

[وقد ثبت عنه ﷺ أنه كان يُصلى بعد الوتر ركعتين جالسًا تارة ، وتارة

---

(١) شرح مسلم ٣٩٢/٢ .

(٢) فتح البارى - كتاب الوتر شرح أحاديث باب « ما جاء فى الوتر » .

يقرأ فيهما جالسًا فإذا أراد أن يركع قام فركع] ثم ساق حديث عائشة وقال : وفى المسند عن أم سلمة « أن النبى ﷺ كان يصلى بعد الوتر ركعتين خفيفتين وهو جالس »[1] ثم قال رحمه الله بعد ذكره الأحاديث : [وقد أشكل هذا على كثير من الناس فظنوه معارضا لقوله ﷺ « **اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً** » وأنكر مالك رحمه الله هاتين الركعتين ، وقال أحمد : لاأفعله ولا أمنع من فعله ، قال : وأنكره مالك ، وقالت طائفة : إنما فعل هاتين الركعتين ليبين جواز الصلاة بعد الوتر ، وأن فعله لا يقطع التنفل ، وحملوا قوله « اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا » على الاستحباب، وصلاة الركعتين بعده على الجواز والصواب أن يقال : إن هاتين الركعتين تجريان مجرى السنة وتكميل الوتر ، فإن الوتر عبادة مستقلة ، ولا سيما إن قيل بوجوبه ، فتجرى الركعتان بعده مجرى سنة المغرب من المغرب فإنه وتر النهار ، والركعتان بعدها تكميل لها ، فكذلك الركعتان بعد وتر الليل والله أعلم][2] ا . هـ. كلام ابن القيم وستأتى زيادة بيان فى «فقه القيام»

قضاؤه ﷺ للتهجد إن نام عنه أو مرض :

عن عائشة أن رسول الله ﷺ : «كان إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره صلى من النهار ثنتى عشرة ركعة »[3] .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : «كان رسول الله ﷺ إذا عمل عملاً أثبته ، وكان إذا نام من الليل أو مرض صلى من النهار ثنتى عشرة ركعة ، قالت : وما رأيت رسول الله ﷺ قام ليلة حتى الصباح ، وما صام شهرا متتابعا إلا رمضان »[4] .

---

(١) رواه أحمد فى المسند ٦/٢٩٨ - ٢٩٩ ورجاله ثقات، قاله الأرناؤوط فى التعليق على شرح السنة

(٢) زاد المعاد طبع مؤسسة الرسالة ج ١ ص ٣٣٢ - ٣٣٣ .

(٣) رواه مسلم واللفظ له والترمذى فى الصلاة من الجامع وفى الشمائل والنسائى .

(٤) رواه مسلم واللفظ له ، وكذا رواه أبو داود .

• ومن حديث لها عند مسلم «كان نبي الله ﷺ إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها ، وكان إذا غلبه نوم أو وجع عن قيام الليل صلّى من النهار ثنتى عشرة ركعة ... » الحديث

• ولها عند الترمذى : «كان النبى ﷺ إذا لم يصلّ من الليل منعه من ذلك النوم ، أو غلبته عيناه صلى من النهار ثنتى عشرة ركعة »[1] .

قال صاحب تحفة الأحوذى : « أى فيما بين صلاة الفجر والظهر ، وفيه دليل على استحباب المحافظة على الصلاة ، وحث على ذلك أمته ، وبيّن الوقت الذى يقضى فيه صلاة التهجد » ا.هـ .

متى يقضى من نام عن حزبه من الليل ؟

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :

« من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتب له كأنما قرأه من الليل »[2] .

« وفيه استحباب المحافظة على الأوراد وأنها إذا فاتت تقضى » كما قال النووى » .

قال صاحب عون المعبود : [« والحديث يدل على مشروعية اتخاذ ورد فى الليل وعلى مشروعية قضائه ، إذا فات لنوم أو عذر من الأعذار ، وأن من فعله فيما بين صلاة الفجر إلى صلاة الظهر كان كمن فعله فى الليل ، وفيه استحباب قضاء التهجد إذا فاته من الليل ، ولم يستحب أصحاب الشافعى قضائه ، إنما استحبوا قضاء السنن الرواتب » قاله الشوكانى .

---

(١) الترمذى فى الجامع - كتاب الصلاة باب منه وقال حديث حسن صحيح .

(٢) حديث رقم (٢) رواه مسلم فى صحيحه كتاب صلاة المسافرين باب « من نام عن صلاة الليل أو مرض » واللفظ له ، ورواه أبو داود والنسائى وابن ماجة والترمذى وابن خزيمة .

(كتب له) : قال القرطبي : هذا الفضل من الله تعالى ، وهذه الفضيلة إنما تحصل لمن غلبه نوم أو عذر منعه من القيام مع أن نيته القيام]ا.هـ. كلام صاحب عون المعبود .

● أمّا ما جاء فيمن كانت له صلاة بالليل وغلبه عليها النوم ، وأنها تكتب له أجر صلاته فلا تعارض بينها وبين القضاء فكما قال صاحب عون المعبود : « ما جاء من القضاء فللمحافظة على العادة ، ولمضاعفة الأجر والله أعلم » . قال السيوطى : « من نام عن حزبه » أى من نام فى الليل عن ورده ، والحمل على الليل بقرينة النوم ويشهد له آخر الحديث .

وهو قوله « ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر » ثم الظاهر أنه تحريض على المبادرة ، ويحتمل أن فضل الأداء مع المضاعفة مشروط بخصوص الوقت ، وفى الحديث دليل على أن النوافل تقضى » . وقال السيوطى رحمه الله « الحزب : هو الجزء من القرآن يصلى به »[1] ا.هـ.

اجتهاده فى القيام :

عن المغيرة بن شعبة «أن النبى ﷺ صلّى حتى انتخت قدماه، فقيل له : أَتكلَّفُ هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : « **أفلا أكون عبداً شكوراً** »[2] .

---

(١) حاشية السيوطى على النسائى ج ٣ ص ٢٥٩ .

(٢) حديث (٢) : رواه البخارى ومسلم واللفظ له والترمذى والنسائى . رواه مسلم فى كتاب المنافقين باب إكثار الأعمال والإجتهاد فى العبادة والبخارى فى التهجد باب « قيام النبى ﷺ الليل » .

وعند مسلم بلفظ آخر « قام النبي ﷺ حتى ورمت قدماه ، قالوا : قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. قال : « **أفلا أكون عبداً شكوراً** » .

وعند البخارى « إنْ كان النبي ﷺ ليقوم أو ليصلى - حتى تَرِمَ قدماه - أو ساقاه - فيقول « **أفلا أكون عبدًا شكورًا** » .

عن عائشة قالت : «كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تَفَطَّرَ رجلاه . قالت عائشة : يا رسول الله : أتصنع هذا وقد غُفِر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال : يا عائشة : « **أفلا أكون عبداً شكوراً** » [1] .

وعند البخارى « أن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، فقالت عائشة : - لم تصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأْخر؟ فقال : «أفلا أحب أن أكون عبداً شكورًا » ، فلما كثر لحمه صلّى جالسًا ، فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع » .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يصلى حتى تزَلّع يعنى تشقق قدماه » [2] .

« تفطر » بتاء واحدة وفى رواية « تتفطر » والفطور : الشقوق كذا ذكره أبو عبيدة فى المجاز .

قال النووى : تفطرت : تشققت ، قالوا : ومنه فطر الصائم وأفطره لأنه خرق صومه وشقه .

« حتى تَرِمَ » بفتح التاء وكسر الراء وتخفيف الميم بلفظ المضارع من الورم هكذا سمع وهو نادر .

« حتى تزلع » .

قال الحافظ فى الفتح [«لا اختلاف بين هذه الروايات فإنه إذا حصل

---

(١) رواه البخارى ومسلم واللفظ له من كتاب صفات المنافقين باب إكثار الأعمال والاجتهاد فى العبادة ، والبخارى باب تفسير سورة الفتح باب « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » .

(٢) إسناده صحيح : رواه النسائى فى قيام الليل باب الاختلاف على عائشة فى إحياء الليل .

الانتفاخ أو الورم حصل الزلع والتشقق والله أعلم » .

«كثر لحمه » وفى أخرى « بدن » .

بدّن : بدَن بالتخفيف : إذا سمن ، وبالتشديد : إذا كبر .

«أفلا أكون عبدًا شكورًا» قال الحافظ : «الفاء للسببية ، وهى عن محذوف تقديره أأترك تهجدى فلا أكون عبداً شكوراً ، والمعنى : أى المغفرة سبب لكون التهجد شكراً فكيف أتركه ؟ » .

قال ابن بطّال : « وفى هذا الحديث أخذ الإنسان على نفسه بالشدة فى العبادة وإن أضر ذلك ببدنه لأنه ﷺ إذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن لم يعلم بذلك فضلاً عمن لم يأمن أنه استحق النار » ا . هـ .

ومحل ذلك ، إذا لم يفض إلى الملال لأن حال النبى ﷺ كانت أكمل الأحوال فكان لا يمل من عبادة ربه ، وإن أضرّ ذلك ببدنه ، بل صح أنه قال « **وجعلت قرة عينى فى الصلاة** » .

قال القرطبى : ظن من سأله عن سبب تحمله المشقة فى العبادة أنه إنما يعبد الله خوفًا من الذنوب وطلباً للمغفرة فمن تحقق أنه غفر له لا يحتاج إلى ذلك ، فأفادهم أن هناك طريقًا آخر للعبادة وهو الشكر على المغفرة وإيصال النعمة لمن لا يستحق عليه فيها شيئًا فيتعين كثرة الشكر على ذلك ، والشكر الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة ، فمن كثر ذلك منه سمى شكورًا ، ومِنْ ثَمّ قال سبحانه وتعالى :

﴿**اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادى الشكور**﴾ .

قال العلماء : إنما ألزم الأنبياء أنفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله تعالى عليهم وأنه ابتدأهم بها قبل استحقاقها ، فبذلوا مجهودهم فى عبادته ليؤدوا بعض شكره ، مع أن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد والله أعلم .

(**فائدة**) : قال الحافظ فى الفتح : « قيل : أخرج البخارى هذا الحديث لينبه على أن قيام جميع الليل غير مكروه ولا تعارضه الأحاديث الآتية بخلافه ، لأنه يجمع بينهما بأنه ﷺ لم يكن يداوم على قيام جميع الليل بل كان يقوم وينام

كما أخبر عن نفسه وأخبرت عنه عائشة أيضاً »][1] ا.هـ.

بأبي وأمي رسول الله ﷺ من كان له القدح المُعلّى في العبادة حتى تقول إحدى أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن « وأيكم يطيق ما كان يطيق » وأخرى تقول « ما لكم وصلاته ﷺ ».

حُسن صلاته وقيامه :

مرّ بك في حديث عائشة المخرج في الصحيح : « ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة ، يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي ثلاثاً ... » الحديث .

قال النووي : « هن في نهاية من كمال الحسن والطول مستغنيات بظهور حسنهن وطولهن عن السؤال عنه والوصف .

تطيبه ﷺ للقيام :

« عن أنس قال « كان للنبي ﷺ إناء يعرض عليه سواكه ، فإذا قام من الليل خلا واستنجى واستاك وتوضأ ثم تطلب الطيب في رباع نسائه »[2] .

---

(١) فتح الباري شرح باب قيام النبي ﷺ .
(٢) ذكره بسنده في مختصر قيام الليل ص ٤٨ .

نصحه لأهله وحثهم على القيام :

ولقد مرّت أحاديث توضح حرص رسول الله ﷺ ، وكيف يمر على ابنته وابن عمه فى وقت جعله الله سكناً ضاناً بهم أن يركنا إلى الدعة والسكون قائلاً لهما : ألا تصليان ؟ وقوله حاثا لنسائه « **من يوقظ صواحب الحجرات** » يعنى أمهات المؤمنين ، وسيمر بك إيقاظ أهله للوتر فصاروا بحثه ﷺ إياهم على قيام الليل إذا ذكر أصحاب الليل كانوا أئمتهم .

دعاؤه وحبه ﷺ لمن يُعين على قيام الليل :

عن ربيعة بن كعب الأسلمى قال : كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لى سل : فقلت أسألك مرافقتك فى الجنة . قال : أوغير ذلك ؟ قلت : هو ذاك . قال : « **فأعنى على نفسك بكثرة السجود** »[1] .

فانظر إلى ذلك الصحابى وكيف نال من الشرف ما نال من إعانته لرسول الله ﷺ على القيام حتى يقول له الرسول ﷺ لما رأى منه ذلك يقول له : « سل »

عن ابن عباس « أن رسول الله ﷺ كان فى بيت ميمونة فَوَضَعْتُ له وضوءا من الليل . قال : فقالت ميمونة : يا رسول الله وضع لك هذا عبد الله بن عباس فقال « **اللهم فقهه فى الدين وعلّمه التأويل** »[2] ولقد نال ابن عباس ما نال بسبب دعاء رسول الله ﷺ لمّا أعانه على القيام وأعدّ له وضوءه .

عن زيد بن خالد قال قال رسول الله ﷺ « **لا تسبّوا الديك فإنه يوقظ**

(١) رواه مسلم واللفظ له كتاب الصلاة باب « فضل السجود والحث عليه » .

(٢) إسناده صحيح : رواه أحمد فى مسنده وصححه الشيخ أحمد شاكر رقم (٣٠٣٣) .

للصلاة »[1] ولقد مرّ بك فى الأحاديث أنه ﷺ «كان إذا سمع الصارخ قام فصلّى قال المناوى : (فإنه يوقظ للصلاة) : أى لقيام الليل بصياحه فيه ، ومن أعان على طاعة يستحق المدح لا الذم ، وفى رواية للطيالسى « **لاتسبوا الديك فإنه يدل على مواقيت الصلاة »**

قال الحليمى : وفيه دليل على أن كل من استفيد منه خير لا ينبغى أن يسب ولا يستهان به ، بل حقه الإكرام والشكر ويتلقى الإحسان . وليس فى معنى دعاء الديك إلى الصلاة أنه يقول بصراحة « صلوا » أو حانت الصلاة ، بل معناه أن العادة جرت بأنه يصرخ صرخات متتابعة عند طلوع الفجر- وفى الثلث الأخير وقت قيامه ﷺ - وعند الزوال فطرة فطره الله عليها ، فيذكر الناس بصراخه للصلاة »[2].

فطوبى لك يا من أعنت على قيام الليل أهلك وستعلم قدرك بوصول هدية الملِك «كتبًا من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات » .

اللهمَّ مَنْ دل غيره على قيام الليل فارزقه شهادة فى سبيلك ، واجعله من العلماء الربانيين واسكنه الفردوس ، واغفر له خطاياه ، فهو أحوج من كل الأنام إلى رحمتك يا أكرم الأكرمين .

---

(١) إسناده صحيح : رواه أبو داود - فى الأدب باب « فى الديك والبهائم » ، وأخرجه النسائى مسندًا ومرسلاً كما قال المنذرى .
وصحح إسناد الحديث النووى فى « الأذكار » و « الرياض » ، وقال غيره : رجاله ثقات . وصححه المناوى وحسّنه السيوطى وقال المناوى متعقبًا له « فرمز المؤلف لحسنه فقط تقصير أوقصور ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع ، رقم (٧١٩١) وانظر تخريج المشكاة (٤١٣٦) .

(٢) فيض القدير .

تذكيره بالآخرة فى الليل ليسهل القيام :

انظر إليه ﷺ وهو يقول : « **ما أنزل الليلة من الخزائن ... ياربَّ كاسية فى الدنيا عارية يوم القيامة ...** » .

عن قبيصة : « كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلث الليل قام فقال : « **ياأيها الناس اذكروا الله ، جاءت الراجفة ، من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إنّ سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه** »[1] .

قيامه عند الشدائد :

أنظر إلي الخبير ﷺ العالم بمجامع الطرق وكيف يأخذ بها فى قرع أبواب مَنْ لا تضيق عنده المنادح .

أنظر إليه ﷺ « يوم بدر » :

عن على رضى الله عنه قال : « ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ، ولقد رأيتنا وما فينا إلاّ نائم ، إلاّ رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلى ويبكى حتى أصبح » .

وفى رواية : « فإنه كان يصلى إلى شجرة ويدعو حتى أصبح »[2] .

---

(١) الحديث رقم (١) : إسناده حسن : رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ، وروى نحوه أبو نعيم فى « الحلية » ، وأحمد فى مسنده والحاكم فى المستدرك وقال « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبى ومحمد بن نصر فى قيام الليل وحسّنه الألبانى فى الصحيحة رقم (٩٥٤) .

(٢) حديث رقم (٢) : إسناده صحيح . رواه أحمد فى « المسند » وابن خزيمة فى صحيحه والنسائى ، وصححه ابن خزيمة وأورده الحافظ ابن كثير فى تفسيره وعزاه لأبى يعلى عن زهير عن عبد الرحمن بن مهدى ، وغفل عن غزوه للإمام أحمد ، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر فى المسند رقم « ١٠٢٣ » ، (١١٦١) . وقال الساعاتى : سنده صحيح : انظر الفتح الربانى (٣٦/١) ، وحارثة بن مضرب ثقة كما قال الهيثمى فى المجمع (٧٦/٦) وصححه الألبانى فى « صحيح الترغيب والترهيب » حديث رقم « ٥٤٦ » .

أنظر إلى حبه وتعطشه للقيام والدعاء « لما نزل طش من المطر فانطلق الصحابة تحت الشجر والحجف وهى التروس يستظلون تحتها من المطر وبات رسول الله ﷺ « يدعو ربه » .

قال الحافظ ابن كثير فى « يدعو ربه » : يعنى قائما يصلى .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله فى « البداية والنهاية » : « بات رسول الله ﷺ يصلى إلى جذع شجرة هناك ، ويكثر فى سجوده أن يقول : « **يا حى يا قيوم** » يكرر ذلك ويلظّ عليه السلام بقيام الليل والبكاء حتى الصباح والدعاء والاستغاثة بطلب النصر « **اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد** [1] » يصلى هو وأبو بكر ويقول فى صلاته « **اللهم لا تودع منى ، اللهم لا تخذلنى ، اللهم لا تترنى ، اللهم أنشدك ما وعدتنى** » [2] . « **اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها وفخرها تجادل وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى** » .

يقول ابن مسعود « ما سمعنا مناشداً ينشد ضالة أشد مناشدة من محمد لربه يوم بدر : اللهم إنى أنشدك ما وعدتنى » [3] يدعو حتى يسقط رداءه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه فقال : « يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل ﴿ **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم** ... ﴾ الآية فأمده الله بالملائكة» ا. هـ. .

هذا هو الزاد عند الشدائد ﴿ **ولا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** ﴾ يعطيه القدوة ﷺ لمن بعده ... يأخذ بمجامع الطرق ..ويُدِمْ قَرع أبواب السماء ... يستغيث بربه

---

(١) جزء من حديث البخارى ٥٩٥٣

(٢) جزء من حديث فى « مسلم » .

(٣) حديث رقم (٣) : إسناده حسن : رواه الطبرانى وقال الحافظ ابن حجر فى « فتح البارى » شرح حديث ٣٩٥٣ ج ٧ : إسناده حسن .

يطلب منه العون والمدد .. فَمَنْ كان الله معه ، فمِمَّنْ يخاف ومَنْ يخشى .. ! !
يقوم رسول الله ﷺ الليل باكيًا داعيًا .. وترك هذا الميراث للقادة التى سجلوا بأحرف من نور أروع الانتصارات فى التاريخ الإسلامى .. صلاح الدين الأيوبى وأستاذه نور الدين محمود زنكى ومحمد الفاتح .. وضيّع قوم الميراث فأضاعوا البلاد :

حكّامنا ضيعونا حينا فسقوا ... باعوا المآذن والقرآن والدينا
أى الحكايا سَتُرْوَى عارُنا جلل ... نحن الهوان وذل القدس يكفينا

قيامه الليل فى غزوة الأحزاب : ـ

قال تعالى : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا . ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله . وصدق الله ورسوله ، ومازادهم إلا إيمانا وتسليما » [الأحزاب : ٢١ ، ٢٢] صورة وضيئة فى وسط الظلام ، مطمئنة فى وسط الزلزال ، واثقة بالله ، مستيقنة من نصر الله .. لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ على الرغم من الهول المرعب والضيق المجهد ، مثابة الأمان للمسلمين .

لنا أن نتصور أية طاقة يطلقها هذا الجو فى أرواحهم ، وأى ينبوع يتفجر فى كيانهم بالرضى والحماسة والثقة والاعتزاز وهم يرون الرسول يضرب بالفأس ويجرف بالمسحاة ويحمل فى المكتل ، ومع هذا كانت روحه صلى الله عليه وسلم تستشرف النصر من بعيد ، وتراه رأى العين فى ومضات الصخور على ضرب المعاول ... فإذا جاء الليل وظلمته الشديدة مع ماهم فيه من الجوع الشديد والبرد القارس .. جاء بالهول الذى يزلزلهم ويكرب أنفاسهم .. لقد كان الهول الذى واجهه المسلمون من الضخامة ، وكان الكرب الذى واجهوه من الشدة ، وكان الفزع الذى لقوه من العنف بحيث زلزلهم زلزالا شديدا ، كما قال عنهم أصدق القائلين « هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا » ومما يصور هذه الحالة أبلغ تصوير خبر حذيفة والرسول صلى الله عليه وسلم يحس

حالة أصحابه ويرى نفوسهم من داخلها ـ :ـ روى الإمام مسلم فى صحيحه عن إبراهيم التيمى عن أبيه قال : كنا عند حذيفة فقال رجل لو أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلت معه وأبليت فقال حذيفة : أنت كنت تفعل ذلك لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقرّ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا رجل يأتينى بخبر القوم جعله الله معى يوم القيامة ؟ فسكتنا فلم يجبه منا أحد ، ثم قال : ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معى يوم القيامة ؟ فسكتنا فلم يجبه منا أحد ، فقال قم ياحذيفة فأتنا بخبر القوم فلم أجد بدا إذ دعانى بإسمى أن أقوم ، قال : اذهب فأتنى بخبر القوم ولا تذعرهم علىّ ، فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشى فى حمّام حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يصلى ظهره بالنار فوضعت سهما فى كبد القوس فأردت أن أرميه فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاتذعرهم علىّ ، ولو رميته لأصبته فرجعت وأنا أمشى فى مثل الحمّام فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفرغت قُرِرْت فألبسنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضل عباءة كانت عليه يصلى فيها فلم أزل نائما حتى أصبحت فلما أصبحت قال : قم يانومان .

وفى مسند أحمد : عن محمد بن كعب القرظى قال : قال فتى منا من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان يا أبا عبد الله رأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه ؟ قال نعم يا ابن أخى ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال والله لقد كنا نجهد ، قال والله لو أدركناه ماتركناه يمشى على الأرض ولجعلناه على أعناقنا ، قال فقال حذيفة يا ابن أخى والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل هويا ثم التفت إلينا فقال : مَن رجل يقوم فينظر لنا مافعل القوم يشترط له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يرجع أدخله الله الجنة ، فما قام رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يامن الليل ثم التفت إلينا فقال مَنْ رجل يقوم فينظر

لنا مافعل القوم ثم يرجع يشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة أسأل الله أن يكون رفيقى فى الجنة . فما قام رجل من القوم مع شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد . فلما لم يقم أحد ، دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن لى بد من القيام حين دعانى فقال : « ياحذيفة ، اذهب فادخل فى القوم فانظر مايفعلون ، ولاتحدثن شيئا حتى تأتينا » . قال : فذهبت فدخلت فى القوم ، والريح وجنود الله عز وجل تفعل بهم ماتفعل ، لاتقر لهم قدرا ولانارا ولابناء ، فقام أبو سفيان فقال : يامعشر قريش لينظر امرؤ منْ جليسه ، قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذى إلى جنبى، فقلت من أنت ؟ فقال : أنا فلان بن فلان ، ثم قال أبو سفيان : يامعشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكُرَاعُ[1] والخف[2] . وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولقينا من هذه الريح الذى ترون . والله ماتطمئن لنا قدر ، ولاتقوم لنا نار ، ولايستمسك لنا بناء فارتحلوا إنى مرتحل ، ثم قام إلى جمله وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه ، فوثب به على ثلاث ، فما أُطلق عقاله إلا وهو قائم . ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىّ « أن لاتحدث شيئا حتى تأتينى » ثم شئت لقتلته بسهم . قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى فى مرط[3] لبعض نسائه مُرَحّل ، فلمّا رآنى أدخلنى بين رجليه ، وطرح على طرف المرط ، ثم ركع وسجد وإنى لفيه ، فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم » .

---

(١) الكراع : اسم لجميع الخيل .

(٢) الخف : الإبل .

(٣) المرط : بكسر فسكون : كساء من صوف

إلى جانب الزلزلة وزوغان الأبصار وكرب الأنفاس الصلة التى لا تنقطع بالله ، والإدراك الذى لايضل عن سنن الله ، والثقة التى لا تتزعزع بثبات هذه السنن .. وكان قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهجده مع شدة الجوع والبرد والظلمة والريح ..

وصورة وضيئة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : بينا هو فى تهجده وصلاته واتصاله بربه ، لايترك حذيفة يرتعش حتى ينتهى من صلاته بل يأخذه ـ صلوات الله وسلامه عليه بين رجليه ، ويلقى عليه طرف الثوب ليدفئه فى حنو ، ويمضى فى صلاته .

وصورة مشرقة أخرى : العتاب والمداعبة الرقيقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لحذيفة بعد ماعاد من استطلاعه ومهمته وقد بلغ به الجهد مبلغه فنام حتى أصبح فيقول له صاحب الهمة العلية صلى الله عليه وسلم : قم يانومان .... يعاتبه على عدم القيام والتهجد حتى وإن بلغ به الجهد مبلغه ... بأبى أنت وأمى يارسول الله .

قيامه الليل فى غزوة تبوك :

أما فى غزوة تبوك فقد وردت الفوائد فى ظلام ليلها :

« عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : أن رسول الله ﷺ وعلى آله وسلم عام غزوة تبوك قام من الليل يصلى فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه حتى إذا صلى وانصرف إليهم فقال لهم : « لقد أعطيت الليلة خمسا ما أعطيهن أحد قبلى أما أنا فأرسلت إلى الناس عامة ..، وكان من قبلى إنما يرسل إلى قومه ، ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بينى وبينه مسيرة شهر لملئ منه رعبا ، وأحلت لى الغنائم كلها ، وكان من قبلى يعظمون أكلها كانوا يحرقونها ، وجعلت لى الأرض مساجد وطهورا أينما أدركتنى الصلاة تمسحت وصليت ، وكان من قبلى يعظمون ذلك إنما كانوا يصلون فى كنائسهم

وبيعهم ، والخامسة هى ماهى ، قيل لى : سل فإن كان نبى قد سأل فادخرت مسألتى إلى يوم القيامة فهى لكم ولمن شهد أن لا إله إلا الله »[1] .

فكانت أعظم هداياه تزف لأمته أثر صلاته الليل فى غزوة تبوك الشفاعة وهى ماهى .

---

(١) رواه أحمد وقال البيهقى : رجاله ثقات ، وقال المنذرى فى الترغيب والترهيب جـ ٤/٤٣٣ رواه أحمد بإسناد صحيح ، وقال ابن كثير فى التفسير ٢/٢٥٥ : إسناد جيد قوى ولم يخرجوه وقال مقبل بن هادى الوادعى : هذا الحديث بهذا السند صحيح لغيره ، فإن عمرو بن شعيب إذا صح السند إليه فحسن كما أفاده الحافظ الذهبى فى الميزان .

انظر كتاب « الشفاعة » لمقبل الوادعى ص ٧٩ ، ٨٠ طبع دار الأرقم بالكويت .

قال تعالى : ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾[1] .

ويخشع القلم حين يذكر قيام رسول الله ﷺ بالأنبياء ويعجز العقل عن كنه ذلك ، ويقر القلب ، ويأتى سالماً مصدقاً ، ويالجلال الموقف وطهر اللقاء حين تتكلم عن قيام الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ليلة الإسراء والمعراج بالمسجد الأقصى .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« **لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكُربت كربة ما كُرِبْتُ مثله قط ، قال : فرفعه الله لى ، وأنظر إليه ما يسألونى عن شىء إلا أنبأتهم به، وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء ، فإذا موسى قائم يصلى فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة ، وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلى أقرب الناس به شبهًا عروة بن مسعود الثقفى ، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم يعنى نفسه فحانت الصلاة فأممتهم فلمّا فرغت من الصلاة قال قائل : يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلِّم عليه فالتفت إليه فبدأنى بالسلام** »[2] **فإن قيل كيف يصلون وهم أموات وهم فى الدار الآخرة وليست دار عمل ؟.**

قال الإمام النووى « قال القاضى عياض : إنهم كالشهداء بل هم أفضل منهم ، والشهداء أحياء عند ربهم فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا وأن يتقربوا إلى الله تعالى بما استطاعوا لأنهم وإن كانوا قد توفوا فهم فى هذه الدنيا التى هى دار العمل حتى إذا فنيت مدتها وتعقبتها الآخرة التى هى دار الجزاء انقطع العمل »[3] ا . هـ .

---

(١) الإسراء الآية رقم ١ .

(٢) رواه مسلم كتاب الإيمان باب ذكر المسيح بن مريم عليه السلام والمسيح الدجال ج ١ ص ٤١٣ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ص ٤٠٤ باب الإسراء وفرض الصلوات .